

أفرط بك لأصنع ذاكرة من الأشياء الدهشة

هكذا نعبر تقشير الشك بروعتنا لنتعرى عليها

نصوص

تحتانيات

و

سحاب البنطلون

فادي عزام

تحتانيات
و
سحاب البطلون
نصوص

الطبعة الأولى والاخيرة .

اللوحة والخطوط والغلاف، من تصميم الفنان حمد الحناوي

الإهداء

إلـى الشـام، دمشـق، الفيحـاء، جلـق، شـأم، دماسـكوس، دراميسيق .....

إليك أيتها المدينة الشهية العصية على النكران. أيتها القاسية الجامحة القارسة الحارة الفاضحة السانحة اللدودة الولودة المهيبة المغرورة الملولة المتأهبة الطافحة..إلخ

أيتها الأنثى الأولى والأخيرة

إليك يا شامنا بعضاً من العلامات التي تركتها شفتاكِ على جسدي.

القسم الأول

نصوص غير موجهة لأحد، وليست من وحي أحد، ولا تعنـي أحداً، يمكـن اسـتخدامها دون الرجـوع للمؤلـف(إذا اسـتطعتم ذلـك) وأي تشـابه بالحالات والتوصيف، هو من باب الصدفة المرتبة سلفا.

فاقتضى التنويه

"أقف على قمم الخسارة
وأنتظر من الله أن يتوجني أميراً على الخراب"
*** آدم حاتم**

في مدح الخسارة

1
نحتاجُ اعتيادها
الكفَّ عن ردعها
الاحتفال بها، بصمت راهبٍ بوذيّ
و قلب زَعْفَرَانيّ
لا نطلب ثمنا لها: كالتعاطف وما شابه
كالبكاء و"ما سال"
نشربُ نخبَهَا، لتبقى يانعة.

ونذوقها بلا نهم
ونتلوها شعراً بسبع قراءات.
الخسارةُ تتألقُ في الحاناتِ
قبلَ نصاعة الخيانةِ
على حافة القصيدة

وعندما يَحْضرُ وجهٌ أليفٌ، وسطَ وَحْشَةٍ سَادِرَة

2

الخسارةُ تساوي بين البشر
تـثلمُ قُلُوبَهم بطهارةٍ عادلة
تُقصقصُ أحقادَهم
تُوقِظهمُ من أفيون اعْتِقَادِهِم.
وترفَعُهم لمقامِ العَارِفِين.
فلا إعْلاناتٌ تروّجُ الربحَ
ولا أعداءُ يَوَدونَ التفوقَ على خَاسِرٍ أَصيلْ
الخسارةُ اقترابٌ، ممَّا أسهم الجميع في الابتعادِ عنه

3

الخسارةُ لا تقبلُ القِسْمَة
الربحُ يفعلُ ذلك

الخسارةُ لا تُعوض
الربحُ يتقنُ ذلكَ

الخسارةُ امتلاء الذات
الربحُ إفلاسها

الخسارة ُخيارُ الصفر المُفضل
الربحُ يعشقُ الأصفار

الخسارة إلْفَةٌ لم تُكتشفْ بعد
الربحُ سببُ ذلك

الخسارةُ تفكُّ الارتباط بما يلتصق
الربح يشدُّ الخِنَاقْ

الخسارةُ أُنثْىَ
الربحُ ذَكَرْ
في الخسارة يؤجَّلُ اليومُ والعملُ والعمرُ إلى الغد

الربح.... لُهَاث

4
الخاسرون أصدقاءُ الريح
يجوبون الظلامَ بقلوب من الفسفور
وأجنحةٍ على الظهر
يوزعون على المدينة لُقْياهم
ويعزفون بأقدامِهم لحنَ العُلَبِ الفَارِغة
يحتفلون بفَقْدِ زرٍّ من القميص

ويشربون من أجلِ أيِّ شيء وفي كلِّ وقت
لا يتقنون طلاوة الوعظِ
ولا يقولون شكراً لأحد
يهيلون التراب على الأحياء
و يتلذذون بشمّ الهواء
وحكِّ الفخذِ من الجيب "المخزوق"
وشرب المياهِ من الينابيع
بينما يتفرجُ عليهمُ الآخرون
ويقتلهم الظمأ.

5

تراهم يَسْعَون لأقَاصِيها
الربحُ لا يملكُ القدرةَ على الفداحة
الخسارة، فقط

"ورغم أني أعرف الطريق
فلا سبيل أبلغ به قرطبة"
لوركا

أعذريني على ما فعلته في أمستردام

سرقَني الزعل، فلم أنتبهْ لجمالك.
كم كنتِ وسيمةً تحت زخّة الغضبِ الذي أثقلتُ بها عليك.
هكذا نحنُ، نتقن الفتك بروعتنا، لنتحسّرَ عليها
تشدّنا الحسرةُ لِلَعقها
والحرمانُ ليكونَ لنا ما نتحدثُ عنه في اللحظات الملتبسة
أفرِّطُ بك، لأصنعَ ذاكرةً من الأشياء الهشة
أتوسّدها كلما عنَّ على البال
صوتُك وبحتهُ الباذخة، وتلك اللثغة المثيرة المشبعة بالروعة
أذكر أنّ الجميعَ احتفل بك إلاّي.
فاتني الوقت لأقضم تفاحك، وأرنبة أنفك، وشهدَك المشغولَ بحكمة النحل
كنت واثقاً من حصولي على كل شيء بعد حين
ومشغولاً بزعلٍ رثٍّ ابتكرتُه للتو
...

كان كل شيء بطعم الخلّ لاحقاً
مقدداً مثلَ جرزة ثومٍ معلقة على حائط قديم
تحمل من فوائد الحزن والأسى، ما يخلل قدرتها على حماية القلوب الهشة.
فاتني جمالك الأوسعُ من قدرتي على الاحتمال والتخيل
وتركني عطرُك دائخاً فوق الوسادة
الوسادة نفسها، التي طالما أبكيتكِ عليها
لم أحبَّ الضجيجَ يوماً كنت أهربُ إليه كي لا تسمعيني
أخلقه كي تكون كلماتي مبهمة
أرجوهُ أن يحضرَ كلما صرخت: أح ب ك.
شهقتك عالية أيتها السيدة
تردُّني إلى حضيضي
تاركاً (قاسيونك) يرفل بثلجٍ وبلّورٍ عاكس
وهواءٍ مغشي عليه
فاتني الكثير فلم أنتبه لروعتكِ
وأنت تتجردين من الأسفِ و الحسافة والشفقة
وتنتظريني لأعودَ من حلكةٍ ناعمة أتقنتِ ارتداءَها
في رحلتي الأخيرة إلى "كوبنهاغن"
لتضيء لي كهوفي وتعملي على طرد خفافيش الدهشةِ الساذجةِ من ياقةِ قميصي
وبكلة حزاميَ المهترئ
ومسح وجهي بصلوات أصابعك

أدمنتُ الخسائر على الأرصفة المخصّصة كبسطات لبيع الألم،
بهامش كبير من الربح، لا يعبأ بانهيار الأسواق والبورصة.
لم تنقذني الكتابة من الكآبة
ولم تساعدني صحون السجائر المترفة بالأعقاب والتبغ المحروق
و رؤوس الثقاب المعطوبة
فبقيت المرارة سيدةً شاهقة، تشبه الشام في يوم غائم
الشامُ نفسُها التي قطعناها مشياً على القلب وهو يلفظ كل الأربطة
الشام نفسها التي طالما غرتِ منها.
الشام التي أتلفتُ عمراً كثيراً، إما لأهرب منها، أو في الحديث
عنها
الشام نفسها التي لا تطيقينَ ضجيجَها، ضوضاءَها، وكبرياءَها،
ولهاثها، ونشوتها المدلوقةَ على نهرٍ لم يعد يستطيع الانتصاب
والسير فتحول إلى مجرور لتصريف الحكاية
وصورة في الألبوم العتيق للمدينة "الشائهة "
الشام لأنها تشبهك وأنت تركضين تحت زخاتها في يوم ماطر.

أنا الجثة المنتصبة الباه
أتمدد الآن على الأريكة البرتقالية التي تركتها لي رزان قبل
رحيلها إلى طنجة.
الأريكة نفسها التي طالما اشتكيتي
إنها لا تتسع لاثنين
مترفاً بحضور ظلك

مهموماً أحملُ وجها سوريّاً
لا يعرف ماذا اقترف ليستحق كل هذا الألم
مباذل كثيرة تستدعي الاهتمام.
وقت كثير هُدر في رحلة الانتظار
ولا شيء يحدث سوى المزيدِ من السأم الممزوج بخيانات يتقن فضحَها الكحول الحافي.
إذاً كل ما في الأمر أن الزعل سرقني، ولم أنتبه لرمَّانك
وهو يفغرُ فاها شهياً للمارّين قرب الحاكورة
ولا إلى فتنة البريق في عينيك المليئتين بالجوع والروعة والقصل الهش سريع الاحتراق.
كنت مشغولاً بترتيب أمر جواز السفر
فلم أنتبهْ لك ولسوريا
سوريا التي أكتبها بالألف الممدوة، تمدُّ لساناً صغيراً أحمر اللون، كلما أشحت لها ظهري.
وحين أستدير تعود وقورةً كما يليق بمقبرة
وأنت تسامحني على كل ما فعلته في أمستردام
فقد سرقني الزعلُ ولم أنتبه أنّ الحشيشَ والضَّوءَ والخدر والخيانة ستقودني إليك كتائبٍ خائبٍ يعرفُ أنه سينكث وعدَه مثلَ عجلة الرحى
وهي تطحن قمحَ الغربة، لتصنعَ خبز الذاكرة
قهرني الزعل فلم أنتبه أنك غادرت منذ زمان
وتركت على باب البيت

مشبكَ شعرِك
وآثارَ أناملك
ورائحة أنفاسِك وهي تلعنُني وتلعن الساعة
التي التقتني فيها وتلعن عمراً من الهرب والعتب
وتلعن الربَّ
ربَّ الأشياءِ الواهنةِ المعلقة
ربّ صباحٍ ومسا
ربّ (الأشياء الصغيرة)
ربّ الأرباب المربية
وربّ من لا ربّ له
سرقني الزعل
فلم أنتبه....
فلم أنتبه....
....

"احفظي لي عذوبَتك
وسأعطيك أنا أيضا وردةً يانعة"
*** نيرودا**

سأهديك ضفة نهر

سأهديك رِزمة من أقلامِ الرصاص
تشعلينها في ليلةٍ باردة فيها الكثيرُ من الملل.
سأهديك هذا اللامتوقع.
وأكون طازجاً كل يوم، وبلا ورود وفاكهة وعطور سآتيك.

سأهديكِ حماراً يأكل كلَّ الورد الأحمر الذي أتاكِ في عيد الحبّ،
ويقطع بك المسافةً بلا استراقِ النظر إلى العداد.
ويعرف طريق بيتي دون أن تستعيني بذاكرتك الهشة

سأهديك قُداساً كاملاً.
بمذبح "سريانيٍّ" وذبيحة على هيئة جسدي المحشوّ
بالنكوتين والفاليوم وخميرة اليانسون

سأهديك ضفةَ نهر، كلما تبتعدين، تصبحُ بحراً

سأهديك أرجوحةً يمكن أن تصبحَ رسناً لكلبٍ أو حبلاً لنشر
الغسيل بملاقط ملونة.
سأهديك مفكرة للمواعيد الغرامية وسداد الفواتير
وتواريخ أعياد الميلاد لكل عشاقك السابقين.

سأهديك حديثاً كاملاً خالياً من السياسة
قصيدة واحدة بلا شفقة
وقصصاً تفزّرُ خاصرتيك من الضحك

سأجالسُك في الممرات الشتويّةِ للحياة
لا تشعرين بانقضاء الوقت
أجعلك (تترغلين) حكايا لصديقاتك

سأهديك كثافةً لتمشي على غيومك بلا عكاز
و شجرةَ فلّين مع زجاجة "شامبانيا" بطعم رالي السيارات
وكانعطافة "سيارة شوماخر" سأطوق عنقك وأسبق باقي العشاق

سأهديك رجولةً خاليةً من الاغتصاب
ومتعةً على قد الحال

وسأرمي حبة "الفياغرا" في حوض الأسماك

سأنصت لنقاهة صوتك
أستمتع بترّهاتك
وأتضامن مع كلّ أمراضك
وأتحمل سوء مزاجك مرةً في الشهر
عندما تعبرُك "الهرمونات" ويجتاحك الأسف.

سأطبع لك صورة (لجرمانا) قبل أن يأتيها إخوتي من العراق.
وأخرى لدمشقَ في الصباح الباكر
وصورةً لبردى يوم كان يزور الشام
وقصائدَ (الرياض الصالح الحسين)
وهو يلملم آهاتِ سوريّةَ وينصت لدمشقَ وهي تتثاءبُ بقميص
النوم

سأهديك حلزوناً يتمشى على "إشنيات "الخابية
وطاسةِ "الرعبة"
وحذوةً للحصان تبعد الأرواح الشريرة عن أحلامك
وكمشة "قرعون" في بداية الموسم.

وبعد أن يفرغ كيس الهدايا.
سأهديك وداعاً نقياً ونهايةً هادئة

تجعلك تشعرينَ بوخزة خفيفة لذيذة في القلب
كلما عبرتْ رائحتي ذاكراتَك
أواخرَ العمر.

"ضدان: الإنسان في شقاق"
سيوران

تحتانيات وسحاب البنطلون

تَحْتَ الأسف: الغضب كما يجب

تحتَ الجسر: مشيمة بكامل عُدتها
تحتَ المساء: اقتصاص الظلّ

تحتَ السطر: خطٌّ أحمر ينالُ مما فوقه
تحتَ الفكرة: برجان محصّنان من انتقامِ الطائرات

وتحتَ المقعد: سيجارة "حمرا طويلة" عليها أحمر شفاه
وتحت الكرسي: قنبلة ستنفجر خلسة

تحتَ الحروف: جمر يتأوّه من احتطابِ الأبجدية
وتحتَ المعنى: غبارٌ يكنسهُ النطق

تحتَ اللسان: أنقاضُ الذاكرة
تحتَ التخت: جارُ السيدة

تحتَ السفح: لعنات"تطالُ القصر
تحت الكفن: جسدٌ مُخردقٌ لم يكملِ الأربعين

تحتَ الدَّرَج: مستلزماتُ الحرب وبرميل مازوت
تحت الذقن: ربطةُ العنق، وآثارُ حذاء

تحتَ الكلام: جبُّ يوسفَ، و عشرة ذئاب
تحتَ السماء: فلتر يمرر الأمنية على شكل غيمة

تحتَ الرجل: أمرٌ إلهيٌّ على هيئة امرأة
تحتَ الهمس: ينحاز "عطيل" لقلبه ويتقن المهمة

تحت القسم: يُذبحُ"أبقراط"، و"روبسبير"، وولي العهد
تحت القدم: إله "ابن عربي"

تحتَ المقصلة: يدٌ تمتدُّ لتمسكَ الرأس المسافر وحيداً
تحتَ الزنار: ثمةَ أحجيةٍ تستوجبُ مجزرة

تحتَ العانة: انتصاب الفراغ
تحتَ اللحاف: حيواناتٌ رمادية تتعشَّقُ بالمَلحَفة

تحت الشباك: انتظارٌ يثير الشفقة
تحتَ المطر: يسترطبُ الرمل برُضابِ الغيم

وتحت الغفلة: انتعاظُ الفكرة
تحت الرمل: لعابُ الوقت

تحت "السوتيان": نسيتُ أناملي
تحت الحبّ: قحلٌ وأغانيُّ معطوبة

تحت صباح الخير: توقعٌ لفقدان سيصدق يوماً.
تحت الثمالة: نقص الحواسّ وبطلانُ الأدلة.
...

وحدهُ سحّاب (البنطلون)
ما نحرص دائماً على شدِّهِ جيداً إلى فوق

"صيغة ساقطة بين القبول والتصالح
تلك هي حياتي"
آدم حاتم

تلك هي سوريتي

خربطةٌ متعمدةٌ لكل شيء
مفتاحٌ لخزينة مفلسة
(عَكْرتة) على شكلِ خفةِ دم
قوائمُ أربع، وغشاوة حالمة
ورشة عمل لتخريب ما يتمّ إنجازه
أحافيرُ مكدسَةٌ في نصوص مقدسة
"فيوزات" معطوبة
عطالة (معجوقة) بالفوضى
زيق أسود على صورة شابٍّ لم يبلغِ الخامسةَ والعشرين
صورةٌ دامعةٌ لطفلين يهوديين، شُويت عائلتُهما في "الهولوكست"
حبٌّ بطعم اللحم المحروق وجبٌّ يتسع لكل الذئاب.
زَنْخَة لا شكّ في مصدرها
ترحّمٌ على البدايات الأثيّرة وزمنٍ مضى
حفلٌ باذخٌ من سَفلة الشعراء والشهداء والقدسيين

و"بوليس" (نازل تبويس) في الخليقة
قلمُ "بيك" أزرق
"فيلد" عسكري
(بطانيةُ جلدِ النمر)
دفتر عائلة و(بونات مازوت)
التواء كعب وصراخ ثقيل للألم يحتمل
تلك هي بلادي

كان يسيراً أن نترك الباب مفتوحاً
ونتفرغ للقبلة
أن لا نخافَ من أحد
أن نتكلمَ منذ الصباح حتى الصباح التالي عن أشياءَ مفبركة
أن نستحمّ معاً في (البانيو) الأزرق
و نَتَنَشّفَ تحت هبّات الحنين وضوءٍ نائس ونحتفلَ بتقطيع الوقت
حتى تعودَ الكهرباء
وأن ندخنَ حتى أعقابَ السجائر التي أتلفناها ليلاً
كان يسيراً أن يعزّينا قاتلُنا بأنه أبقانا أحياء
كان يسيراً أن نشاهدَ كلّ شيء وكأنه لا يعنينا

تلك هي معجزتي

خياناتٌ مرهقة لنهايات أكيدة
جواز سفر ولُحمة وطنية
قديدُ جثثٍ وإكليلُ موتى
رفضٌ تامٌّ و(قولاً واحداً) منصوبٌ عمداً
ضربٌ مبرح وأنشوطةُ عبث
حذاءٌ (مبخوش) ونقعةُ وحل
أخبار عاجلة ومَسيرة مؤجلة
خاطرٌ مكسورٌ لا يجبر أبداً
وقلب (مبخوش) لا يرتقه شيء
نرجسية أودى بها حادثُ سير
تلك هي نهاياتي

خيبة إثر خيبة
امرأة إثرَ أخرى
وشْمٌ على شكل حرف (L)
(نَملية) لِمُونة الجسد في صقيعِ العمر
(سحارةُ) موزٍ فارغة لتذكاراتٍ تثير الضّحكَ أكثرَ من الحنين
وصندوق صغير فيه أقراط كثيرة
ثلاث عمليات "كورتاج"
وسيداتٌ تسكّعنَ في حفلةِ خيالٍ على قد الحال

يرافقهنَّ "أرخميدس" بجلبة تصدرها قواريرُه المستطرقة
رحيلٌ أكيدٌ وكلما "اكتملنا انتهينا".
تلك هن عشيقاتي

كان يسيراً عليه أن يفوتَ بالحيط، الحيط المعروف نفسه
كان واجباً عليه شتمُ الساعة التي التقينا فيها (١١,٣٠) تقريبا.
كان لهم أن يتركوا (الدويلعة) هرباً من أجرة صاحب البيت
و آخر يمشي في (قدسيا) كقديس
ملعونٌ يلملمُ في (جرمانا) رائحةَ من غابوا
مهووسٌ يمشطُ شعرها بأسنانه
وضحيةٌ تفبرك العشاء من بقايا غداء أول أمس
مقبوض قلبه يفرُك يديه كلما قرع الجرس.
ومأزومةٌ تعُض شفتيها كلما صرخ أين كنت؟
ومرعوب ينتظر قتلَها بعد أن يتأكدَ من خيانتها الأكيدة التي ستأتي بعد أحدَ عشر عاماً
ومرغوبةٌ ظلتْ تتدلل، حتى داهمها اليأسُ وسنونه
صوفيٌّ يلتقط ملابسها الداخلية، ليرى هل بها شهوة إثر عودتها من (باب توما)
وهي تحصي علبة (كوندمه) وتنسى كم مرة فعلاها
أوغاد الشام الأجمل
طائفيونَ بالفطرة
دسمونَ لا يُهضمون بسهولة

حالمون أكثرَ من نوم طويل
رائعون يثيرون المشيئة
هاربون من قراهم
قارئو مئةَ كتاب لا أكثر
حافظو الدرسَ جيدا.
هؤلاء هم أصدقائي

كنيسة السيدة وزيوتها الشافية
جامع أبي الدرداء على خاصرة القلعة المهدمة
أرمن ويزيدية، زرادشتيون وملحدون
متسولو الإيمان ومئذنة ابن عربي
حمزة بن علي ومولاي العقل
فخامة المرشد وربُّه المنيع المحصَّن عن الشتيمة
وجه القمر و"شلفون" مع "قَرفة" نبيذ
كلازيون وحيادرة
صابئة ومهوسون بالطاووس
تسامحُ (رياض الترك)
وبقايا جثة (فرج الله الحلو)
رغبة الحلاج ونقاء السهروردي
رماد و شحار جثة غيلان الدمشقي
تعاليم آغا خان ودراويش يدورون في فلك ساحة المرجة
حج مبروك وسُكرٌ مبرور وجرح مشكور

تلك هي ديانتي

طفولة ناصعة صاغها (سليمان العيسى)
نظَام منظَّمٌ وعريفٌ واشٍ يسجلُ الأسماءَ على ورقةٍ تُودي بمن فيها
مجلاتٌ للجدار
اختفاءُ (لا) الرافضة واستبدالها بـ(كلا) الكليلة.
اقترافُ المعرفة من أساتذة "مُخوزقين " بالفطرة
عقوبات لأطفال تليق بفريق ملاكمة
حوافزُ على شكلِ شعارٍ يُغرز في الصدر
روَّادٌ وطلائع
سرقةُ حقولِ بطّيخٍ وأشجارِ دراق
بردٌ والكثيرُ منه
(طبابيع) جِلّة وبنطالُ واحدٌ لأربع سنين
(صبّاط)، رفض شاري البلاستيك اكتراءَه
نزقٌ وخوفٌ وتبوّلٌ لا إراديّ
مصارعةٌ حرّة وحلم بقبضة (كيري فانريك)
تلصّصٌ وخميرة وقصل هشّ يشتعل كلما سمعنا عن "اليونسيف"
تلك هي طفولتي
تلك هي سوريتي

جمالُكِ لعنتك

الكحلُ الذي سال مع دموع عينيكِ
لطَّفَ من حضرة جمالك الفذّ.
جعلك تبدين بشريةً أكثرَ من أيّ وقت
وحزينةً أيضاً.

"أعرف، على الأقلّ من حذائي
أنّ المطاردة ما تزال طويلة
ولكني لن أكفَّ عن رشْقِ هذا الحيوان بالماء والحجارة"
*** وديع سعادة**

" الاعتياز "

غالياً
أو غالباً
ما تأتي هنا،
لتنعتقَ من بقايا الغَبَرة العالقة على الشعر

تمسح الكتفَ بالكفِّ
ليسقطَ منك ثقلُك
وما كان يحاول الالتصاقَ بك
حبيبةً أو ذاكرةً تنفضها بثقة
وتسير خفيفاً
مفكراً
"بمقعد رجل غادر الباص"* فجأة

ثمة الكثير - إذن - لتفعلَه في "اللندن"
أو هكذا كنتَ تظنّ

ثمة القليل لتعيشَه
أو لتقتلَه
مازلتَ تحملهُ معك
على شكل خاتمٍ أو وردة ذابلة في عروة السترة
على شكل فكرة مسبقة أو حساء للذاكرة
(بودرة) للمودة تعفِطها في الجو لجعلِ الآخرينَ يعطسون عليك
ويقولوا "سُوْ ري"

تودُّ أن تصيح
أتيتُ هنا من منتصف الأرض لأُنتَصَفَ من الأرض
من مرجل الحريق لأحمي عود ثقابي

أتيت من قحطٍ كثيرٍ
لاستنشقَ رملي

من تلال التاريخ وحُفَره
لأنبشَ جسدي

أتيت هارباً من لـ تي
لأنصبَ فخاً لتاءِ التأنيث

من هناك من الشرق الأوسط الكبير
لأرسمَ خريطةً لم أتقنْ حفظَها في كتاب الجغرافيا

أتيت لأتكىء على مخدة الندم، " لأفرطها "وأنعث نُثارها
أتيت لأفشي سرّ الكسل لا لأحزره

فما زلت مزهراً على شكل دحنونة
فتياً لأحتمل أربعَ عشرة ساعة من العمل

معي "اعتياز " بحجم كل قناني الكونياك في بار (لاب)
وسدادات كل معمل (عرق الريان) لأفتحها

"اعتاز"
أن لا يكلمني أحدٌ عنِ القيامةِ
بلْ عنِ الخطيئة
أن لا يكلمني أحدٌ عنِ النبل
بل عنِ الشغف

عن الاختباء
بل عنِ الكشف

عنِ الدم
بل عنِ الشهوة

عمّا يجوز
بل عنِ اللذة

عنِ الوطنية
بلْ عن ثدييها في الشام

أحتاج أن لا يُسدي لي أحدٌ نصائحَ عن الأوراق الثبوتية
إنما يسلفني عشرينَ "باونداً"
(اعتاز) أن لا أرى "بغ بين"
بلِ الهربَ من (عقربيّها) أن لا أسمعَ الأخبار
إنما غناء الكحوليين ليلة الجمعة
(اعتاز) للكثير هنا كي أستردّ هناك
لكنني أصمت
صمتا صارخاً
يسمعه كلُّ من يمرون بقربي

فيبدؤون بالعطس
يستدركون بسرعة
"سو ري"
ويمضون
فاعتاز
.....
....

*** مقعد رجل غادر الباص. عنوان ديوان لوديع سعادة.**

"جزاك الله شراً من عجوزٍ ولقاك العقوق من البنينا
تنحي فأجلسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سراً وكانوناً على المتحدثينا"
*** الحطيئة في هجاء أمه**

(أبُونة)

يرفو جواربه بنفسه
يغسل بياضته بيديه
يكوي ملابسه وأيامه كي تبدو أمامها بلا (طعجات)
يبتسم دوماً
يخبرها: إن كلّ الأشياء بخير
وإن الأيامَ جميلةٌ تبشر بالخير
ولا ينسى أن يقبل رأسها
قبل: صباح الخير.

يحضّرُ قهوتها..
ويشاركها مسلسلها المصري
وإعجابَها المشبوهَ (بأحمد رمزي)
ويقهقه على النكتة نفسها منذ عشرين عاماً

ترويها بزياداتٍ دائمة
أمام أصدقائه
فيبدو مِـْناجاً، سافلاً، غبياً، مضحكاً
وتبدو قوية ذكية رائعة.
يساعدها لتنجزَ تفاهاتِها. يستمع لكلِّ أرائها بجارتها
ويقطّب حاجبيه لحكايا قريباتها المتآمرات.

يمدح جمالها الزائلَ وقوّتَها المفرطة وجبروتها القاتلَ في ابتزاز العواطف والعواصف وتحمّلها لأبيه المصاب بداء البلادة وخمسين علة آخرى.
يوافقها الرأي، هازاً رأسه، مكذباً روحه
أنّ أمَّها جاهلةٌ وعمتَها كذلك وحماتَها شريرة
وأنها تستحقّ حياة وزوجاً وابناً ووقتاً وسماءً وعدالةً وجواهرَ ونصاعةً أفضل.

يحفظ أسماءَ أدويتها و مواعيد أنينها
يعرف مزاجَها وهوايتها .

يكره ذوقها في الطعام ويأكله
وينتعل حذاءً برباطاتٍ لأنها تعشق الأشياء المربوطة
يكره اللون البرتقاليّ ويعصرُ كلّ يوم "كيلو" كاملاً من (أبي صرة)تشربه وهي تشتمُ الليمونَ وحظّها العاثرَ الذي لم ينصفْ

مجد غوايتها.

تنظِّم له صداقاتِه ومواعيدَه ومصروفَه
وتستاء من ثلاثينياته وصلعته وطيبة قلبه

يطهو أيامَها ويرشُّ عليها بهار الوقت
يفتح لها شهية الحياة
يساندها في محنتها الأزلية
يتحمل سوء مزاجِها
ونقَّها وقالَها وقيلَها
ويقيها من العوز والعجز واللمز والهمز
ويقصّ عليها الحكاياتِ لتغفو
فإذا نامت يغطيها جيداً
ويجلس ليتسلى أن هذه السيدة
هي أمه

"بكّر بتبليغ نصيبك من بر العصيان الكريم
حقا، أنت متأخر عن الحياة
الحياة التي لا يمكن التعبير عنها"
*** رونيه شار**

وجوهُ باريس

وجوه الفصول،
تهمس
لا بدّ من باريس، ولنقتلِ الفضول.
تنفرط الأوجه، تغور أكثر، لا تحدق بها، لا تتوخى التعاطف،
سمِّها، وانسلَّ بينها، راقبْها بحذرٍ وارف، بكِّرْ مع الندى، واحصدْ
غايتك من العاصمة المأهولة بالزكام.
وفنّدْ هذه الرقعةَ باللوعة، بالطيشِ والاحتماء، لا دلالات كثيرة،
حصتك فيها وجوةٌ تعقبها وجوه.

وجهٌ فتّتهُ الصمتُ
تنقرُ الطيور فتاتَه

وجهٌ منقلبٌ على ظهره
قالباً خلقته

وجه ممرّغٌ بالنعاس
ملتبسٌ بين الغاية والوسيلة

وجهانِ يعبران معاً
متكلين على الله.

وجهُ سائق "المترو"، تقوده نظراتٌ مشكّكة،
حذارِ من الارتماءِ تحت العجلاتِ وقتَ مناوبتي

وجهٌ تأبطَ شراً
فيا لهذا الوجه
كم يحتاج الرأس الآن؟
كم تمادى بالذهاب بعيداً
حتى أضاع حاجبيه!؟..

وجه يَصْفِرُ يُحيلُ الراءات غينات
يختلجه قصفٌ ورصف، لدبقِ الأيام السائلة

وجوه
مقرونة بالجليد الحافّ، دغدغتها ندوبٌ مسوّسةٌ بالفراغ
وأخرى مألوفة لدرجة التصديق.

وجه من "تيزي أوزو" (يتفشكل) بالحلم المُحقّق

وجه يَعبرُ من شطر الساحة
مزموماً بلا هوادة
يتقيأ عينيه

وجهٌ خدَّدتهُ شموسُ أفريقا، وأضمرته "تروكوديرو"
وجه مرتحل، نسيَ صاحبه أن يلتحفه معه
وجه مقبوض، ينفرط من خدر باريس
وجه مفرط بالتسامح يحمله ضبٌّ على الأرجج

وجه مُصرٌّ أن المتساقطة منه، دموعٌ
وينكر السماءَ ومطرها قبل قليل

وجه يتعكز على أنفه
لاثغاً
هذه ليست عصافير(غ) إنها آهاتي

وجه بعين واحدة، كلما فاح بالغناء، عادت عيناه معاً.

وجه يتكىءُ على جسدٍ أضناه المكوث
يتبع ورقةً خريفٍ زفرها شجرٌ جنوني

وجه ملحوق بشيء غامض يتبعه

وجه لشاعرٍ باريسيٍّ قديم
يتمرأى خلف
"بايب" بدخان كثيف

وجه مُخْتَمِرٌ، سيُخبزُ ذات صباح
وجه بأخاديدَ تعبره (شخاتير) الأيام

وجه يسيرُ أسرعَ من حامله
يتلبكُ بشفتيه

وجه مذعور مني
وأنا فادي عزام
مرعوب منه على وجه التحديد

وجوهُ باريسَ هي وجهي
حين غادرت الشام
هي وجوهٌ
مخبوءٌ مصيرها بالقناع
مفبركٌ خمرها بالغياب
مفضوحة خرائطها وسماتها
ماؤها مسفوح قرب الجسور ومحطات "المترو"

وأنا (ملقوح) تحت فيء حضورك أيتها السيدة الشاهقة
(طوبى لعهدك، صغّرت بعدك كل من يلقاني)*
مشدوه على حافة العطش
(مشلوقٌ) من كلس حوائطك
محاصر بقدومك الغريب
أغرفُ منه
خَسّكِ وسرخسك
"أتشردق" بحسَكِ اللحظات الهاربة من مَسْمَكةِ الوقت
وأتقن كحة الهارب من الإجابات
تنحنح المضطرّ لارتكاب لغز الحياة
المخبوءِ تحت رائحة إبطك
المباغت بصحوك من خدر المتاهة.
ليكتب ما سبق
"بكونياك" شفتيك

يغطس الحبر
ويرتبك
هي "الغَزةُ" ذاتها
لإبرة المحكوم بالإعدام سُمَاً

مكوَّمٌ على عتبة اللحظات البهية التي سحبتها مع ستيانك المخرّم
بحركة فيها من الثقة والهباء ما يجعل أخماسي مضروبة بأسداسي
المتكورة

هي لحظةٌ التي أدركتُ فيها أنّ ضعفَك بمجزرتك
متجنباً كلّ أشواك الصبار في أنينك المصحوب باللذة
قافزاً حواجز الرّقة
التي تفصلني عن غيابك
متخطياً الهشيمَ ذاتَه
لأعرف كم أسبغتُ عليك مقاربتي لأنشودة الثعالب والمكر؟!
رغم أنها في باريس كانت واضحة
منحازة إلى نفسها
ملمومة في صرَّة سهلة المنال
(أشوطها) بقدمي المتيبسة بفعل الاتِّكاء على حائط الرغبات.
أصرع وجوه باريس كضربة "بولنغ" موفقة
وأعود إلى الشام
أحمل من الأقنعة ما يكفي لأضحِكَ عمتي ليندا

وأدهش أصدقائي، أشقاءَ الموت
وأرمي النرد على قارعة حضورك المتأخر
في ساحة باب توما
وأرتدي بقايا وجهك
وأغيب.

---

* **العبارة: لوليد عزام .**

"لا ينبغي أن نلمس الحياة ولو برؤوس الأصابع
لا ينبغي أن نحب ولو بالتفكير
لا مكان لقبلة امرأة في أحاسيسنا، ولا حتى بالأحلام"
* **بيسوا**

كلطخة حبر فرت من جملة (معجوقة)

أشتهيك بلا علاماتٍ للسير
ولا عشاء على ضَوء الشموع
بلامقدماتٍ تفتح شهيّة الحديث
ولا وقتٍ إضافيٍّ من"حَكَمٍ متواطئ"
يقصفني بضرباتِ جزاءٍ قاصمة.
بلا وعودٍ لبداياتٍ خارقة
ولا عقودٍ لقرابينَ مقدسة
بلا أوراق ومؤخّر وسؤالٍ عن الطائفة والدين
ولا صوابٍ مهجورٍ مقبورٍ في قاع اللاشعور

أشتهيك، دفقةً واحدة
خاليةً من النظر إلى عينيك البديعتين
مُ مساً بزيت زعترك
كاملاً مكمَّلاً إلا من البدايات الطويلة
أشتهيك هكذا

بنفسٍ قصير وتَطاولٍ بالغ ووقاحة (عتّالي) الميناء
أشتهيك
بلا قدرةٍ على مدح جمالك الفائضِ عن حاجة اللحظة
ولا العزفِ على دوزان بتول فتنتك
ولا تَحسّسِ يدك الناعمة المُلقاة على الطاولة.
أشتهيك
فأودّ أن أوقفَ الحديث
عن ارتباكات "أدونيس" الصوفية
ونمطية درويش
والعلاقات بين سوريا
وآخر إصدارات (دار الريّس)
أود أن ألقي عني
كلَّ البلاغاتِ التي ستوصلني إلى سريرك
وكلّ العبارات المقتبسة من روايات" كونديرا "
وكل الأكاذيب التي ستوفرينها علي
إذا قلت لك فوراً إني أشتهيك

هكذا كلطخة حبر فرت من جملة (معجوقة)
لن تذهب إلا بدعكٍ كثير وماء ساخن
وخمسين دورةً في غسالة "الأوتوماتيك"
أشتهيك

لا تتحـــــدثي عـــــن خـــــذلانك المتواصـــــل
وســــفالة الرجـــال الدائمـــة وخـــاطرك المكـــدود
وروحك المحبوسة في قارورة الشرق العتيقة
أشتهيك
وأنت صامتة، سادرة
بشفتين منفرجتين قليلا
وأسنان يلوح فيهما اصفرار بهيّ
من نكوتين اللحظات السابقة.
أشتهيك
تذوبين ولها
وتطيرين سيدة
وتخرجين
حرة، بهية، سافلة، واثقة، متناقضة، كامرأة
أعاود اشتهاءها بعد وعد صادق لا يكذّبه المنجمون.

دبي ٢٠٠٤

أقاويل

من قال: إنّ الجهاتِ أربع
فهو إما مخطئٌ بالعد
أو درسُ جغرافية في كتاب فقير بالمخيلة محبط بالخرائط
مثلَ الذي نقدّم به امتحانات في (البكالوريا)
فالذي يعرفك تصبح جهاتُه اثنتين، واحدة لك، والأخرى للفرار منك.
من قال: إنّ البوصلةَ منحازةٌ إلى الشمال
فهو إما جنوبي فقد الاتجاه، أو جندي خائب في سريّة الجيوش المعطلة المختصة بتصنيع الوسائد للأعداء

من قال: إنّ الريح يمكن أن ترصدَها نشرات الأخبار
فهو لا يعرف عن الآلهة وأنفاسها شيئاً
ولم يقرأ "أرض اليباب لـ: تي أس أليوت".

من قال: إني أحنّ إليك الآن لا يعرف أني التقيت "ببليرينا"
المدهشة من "منتينغرو"، تكره الصرب، و"سلوفودان
ميلوفيتش"، بمقدار كرهها للنساء اللواتي يرغبن بمشاركتي لحظة
من مخيلة وينغمسن معي في برهة من عسل، قبل تزلّع المرارة
من الجاني البليد.

من قال: إن الأرض كروية
لا يعرف شيئاً عن الدوران الذي يجعل كلّ الأشياء مسطحة.
الدوران في فراغك على الأخص حين تتنشفين من الأسف،
وتجففين الذكرياتِ كأزهار تفيد في آلام المعدة.

من قال: إن الفقد مخيف،
لا بد وأنه نسي، أنَّه أجمل من حزن الغروب، هو الليل السادر
حيث الجميع نيام إذا "ماتوا استيقظوا".

من قال: إن الحياة عادلة فهو على صوابٍ في هذه اللحظة بالذات
لأني سعيد جداً، وممتن للقدر.
أملأ "البانيو" بالرغوة، وأفتح قِنينةَ نبيذٍ أبيضَ وأنتظرك.
فقط أحتاج أن أوصلَ لك الدعوة.

من قال غير ذلك
يهترئ بانتظارك ويكتب أغنية عن "الكاماسوترا".

"اِسعَ لأن تكون كلُّ نهايةٍ مفترضة براءةً جديدة"
*** رينيه شار**

حين تنفس نـهر "السين"

برفقة طريقٍ يمر سريعاً من خلف الزجاج
برفقة علبة ثقاب ماركة (الفرس)
برفقة جريدة فيها ما لا يعنيك
برفقة ورقة مُهترِئة
عليها رقم لا يجيب
برفقة امرأة في المقعد المجاور
تتمنى أن تلتفت بعد قليل وتدعوك لقضاء الليل في سريرها
برفقة امرأة أخرى، حلّت في نفس المقعد الموعود
ترجو أن لا تلتفت بعد قليل....
برفقة الوقت وهو يقتصُّ منك لأنك أهملته وتبعتَ الزمن
برفقة صورهم، أصدقاء قدامى وآخرون أكثر قدماً
من جعلتهم الحياة "قتلة بالفطرة" أو ضحايا باليقين
برفقة زملاء وشركاء وأدباء وشعراء
دهنوا وجوهَهم بالزبدة
وقلوبهم بالعسل المغشوشِ

كي يتحملوا المرارةَ ويذوبوا عند أول شرارة بارقة من عاطفة مفتعلة.

برفقة بلاد شاخت وهي تنتظر الأبناء ليخرجوا من باب الحارة.
برفقة قصائدَ درويش ومصائدَ أدونيس وابتهالاتِ أنسي الحاج،
ومقامات "النهوند" وأشرطة الشيخ أمام

وبحشد كبير من الخائبين والمطعونين والمتألمين وجنود الله
و"الروك أند رول".
برفقةِ وَجْدٍ لا يُشفى، وطعنةٍ كلما سُحبتِ انغرزَت
وبسطةٍ يُباعُ عليها ما لا يحتاجه أحد.

برفقةِ عاطفةٍ عندما أضمرتها انكشفت
ونومٍ حالَ ما آخيته تبلل.
ومطر، لمّا انتظرته تمادى بالنشفان

برفقة قبائل من الذباب تنقضُّ على جثث الذكريات
مع أملٍ مزوّرٍ وألمٍ مخاتل ولؤم كافٍ لشتم الأجمعين.

برفقة دعوات أمي إلى الله أن يحميني من أولاد الحرام
وبقايا دموعها على (كنزتي) البيضاء

برفقة جمع غيرَ معروفٍ من الصور والأطوار المتحولة للحياة
"مَسْتُوفَة مثل مومياءاتٍ خضراءَ تشبه طنجرة (اليبرق)
برفقتهم جميعا وأكثر
مشيت في باريس.
....
....
الغيابُ
منحوتٌ بولهٍ مسموم، في فضاء (معجوق) بالوحدة
برّاق، مؤكد.
مخموشٌ بألفة (هرير) الريح
سارح، ومؤبد.
"منهوي "في خديعة الاستراق
مرفوعٌ لآذان صامت
يمشط شعر الوقت القصير
بمفرق في المنتصف

كان "إيفيل" شاهقاً كمئذنة
أمام قافلة رفقتي و براءة السيّاح
وهم يتلون صلواتِ الدهشة
ولأنّ الصورة لا تشبه ما تلوَّن عنها
يبدؤون
باستراق النظر إلى عورته

بعد هباءٍ شاهق.

يا إله الارتفاع
أيحتاج المرء إلى كل هذا الزِّحام
وسفك العشرين "يورو"
وتحمل مزاج الاكتظاظ
ليلقي نظرة إلى مكان أقدامه؟
أيحتاج المرء إلى كل هذا التواطؤ
ليحظى برمقةٍ إلى قاعه؟

يضيق خُلقي، أنتظر بصبر فارغ، هطول المصعد
حاملاً أحد عشر برازيليا، وخمسة يابانيين. وثلاث فتيات بجدائل
"الرستا" وتونسيين وسورياً واحداً
أهرب إلى فندق "ألبا" في "سان ميشيل"
أنتظر "بليرينا" الألبانية
ونمضي إلى "تروكوديرو"
تشتمُ الصقيع الخريفي
وأفتح ياقة قميصي
وأشتهي نزلةً برد
تفرك يديها "المقزملتين"
وأشتهي اللهاثَ أكثر.
تلتصق بي لتحظى بدفء فائض

وألوذ بربِّ البرد ليمنحني فتيل جليده
وأحكّ حطب هواجسها، فتُضاء.
المسافة الملتبسة هنا ، ليست بين محطات المترو
بل بين الخطوات القادمة وموعد استفاقتك من الغيبوبة

كسائح سابح في هباء اللحظة
فلا يهمُّ إن كانت فرنسيتكَ
فريستُكَ
تأكلُ ما تيسّرَ من حُروفها
ولذْ َاتِها
وتحظى بجسد امرأة حاضرة (بعجقة) صَدفٍ مدهشة
تخرمشها في مساء مكتظٍّ بالفراغ
قطعةً قطعة.
تقارب عُريَها المَرميّ كاختراعٍ موفّقٍ على طاولةِ الروعة
بقعةً وراء أخرى
نِسرة يتبعها فحيح
أُبَّهةٌ مخاتلة
متخمة بالفيوض
توزع اللهاث على حيٍّ مهتاجٍ بالصخب القديم
رشفةً مشبوهة
وراءَ رشفةٍ مفضوحة

وتقذف ثقلاً قديماً عزيزاً.
شيئاً آثَرتَ احتيازَه
"جعلكة" بدأت تسترد استقامتها
امتلاء متخم بكلّ الرفقة التي تعيق الطيران
عليك رميهم بعيداً
في "السين" الصامتِ المنقوعِ في حكايات قديمة
المستحضر من الحكايات عن "بائعاتِ الخبز، والأحدب البشع،
وريمي مع زيربينو، وفيتاليس".

برفقة أشياء كثيرة تقرَّرَ رميُها في النهر العاري
وتمشي بلا بوصلةٍ للشمال، ولا خرائط للحذر
تسقطهم واحداً واحداً أو دفعةً كاملة.
تجلخهم بأظافرك، تنزعهم من دمك
تكشطهم بلا استثناء
وتراهم يغوصون في القاع.

ترهف الإصغاء
وإن كانت لك القدرة على حبس الشهيق قليلا ستنصت إلى النهر الكئيب
يتنفس ...!!
برفقة ورقة مُهترِئة
عليها رقمٌ لا يُجيب

تمشي وتمشي ..
كلّ خطوةٍ لعنةٌ وكلّ حراكٍ حنين.
برفقةٍ
برقةٍ
برقٍ
بر ..
بـ...
...
أغرق
أغر
أغ
أ...

(بلا جويزة الكُبّة)

لخمسين فعل ناقص لم يحدث
لعاشق قتل بعد ظهر ما، لسبب غير الحب على الأرجح
لستة مليار ضحية على كوكب الأرض
أجدل هذه الضفيرة، وأرصّعها بالخرز
كسجين في تدمر أو "غونتانامو"
كعاشق في دمشق أو على ضفاف نهر "التايمز"
كولد سبح في الوادي
وسحب التيار ثيابه
أو "كعجوز أنهكتها الجنائز"
...
...
أملأ هذه (الخلقينة) بماء النبع كلما مررتٍ في ذاكرتي
هذا المساء
ككلّ مساء، الضّباحة في الوعر
والمطر لم يهطلْ في تشرين

والكلّ بانتظار شيء ما يحدث
هذا المساء
"صموئيل بيكت" سيد الموقف
أحتاج إلى أحدٍ ما
يفرغ جيوبي من ثقوبها
ويعلن قيامتي
...
فبلا كلّ ذلك و أكثر
سيبدو هذا المساء
بلا مقدمات
بلا صدقات
بلا أحاديثَ خاليةٍ لتقطيع الوقت بلا قطارات لا تجيء ورغم ذلك
تثير الضجيج و تُوقظ لدى المثقفين "النوستولوجيا"
بلا رسائلَ
بلا أكلِ خرا
بلا ذاكرةٍ بلا أخطاء
بلا "رتوش" لتجميل ما لا يُجمّل
بلا يقينٍ واحد
بلا حلم
بلا مصاريفَ إضافية
بلا مزاح
بلا شفقة

بلا قلب
بلا فراق صعبٍ أو يسير
بلا حياء من أحد
بلا شماتة واجبة
بلا عيون وعسس
بلا رنة على الجرس
بلا أرض تشفي الغليل
بلا امرأة مكتنزة بشاهق مرتفع
بلا حقوق أو تذمّر
بلا (جويزة الكُبّة)
...
إنه مساء فقط.. مساء في الشام
ياه، لو تعرفون ماذا يعني المساء في شتاء دمشق...!
.....
.....
بلا ما تعرفون.

ما بالها

ما بالُ الحياة.. تبدو مثل قرعة فارغة
مثل جمجمة وعظمتين.. ترفرف فوق سارية!
ما بال الحياة تزداد فراغاً ورداءة
ما بالها قاسية مثلما هي دائماً
وغير عادلة ولا ترحم أيضا

.....
.....
ما بالها الحياة لذيذة ومغرية
رغم كل ذلك!
أنت في الشام على الأرجح....

"ما يؤلمني ليس ما ينبع من القلب
بل تلك الأشياء الجميلة التي لن تكون أبداً"
***فرناندو بيسوا**

أشتاق إلى فخذيك الكنغريين في لشبونة

"لشبونة" الوارفة
يحتضنها الأطلسيّ كذكرٍ فائق الحضور
يستبسلُ لامتلاكها
مدينة تتأرجح بين شراسة الاحتياز والانفلات
الهوية ملتبسة
الثمن البخس للحرية
لندعْ كلّ ذلك ولْأحدثك عن الهواء المزمهر بأنفاس ضائعة .
"بيسوا" خطف القلق من هذه المدينة المطمئنة،
الوهجُ البرتغاليّ مهوسٌ بالاصفرارِ البهيّ.
الأفكار قبّعاتُ الظلال
يمرّ عليها ضوء معرفتي الشَّرود
الأحاسيسُ تلك الغاشيات من الضحك
و مروّجو الحياة الميتة، يريدون اكتراء حياتي

هنا في مقهى"برزليرا"
على التلة الرابعة
تقف النادلة القادمة من "سان باولو" بكامل قوامها لتسألني بلطف
مفتعل من أيّ بلاد أنت
يتأرجح صدرها في فراغ صاغر ليحاصرني

أغدو الرقمَ في سجلات السائحين
والزبونَ المتغير
المبهمَ الذي يشبه الكلّ
اللاشيء يشغل حيزه في كرسي البار الفارغ
أبدو كظلٍّ ناشفٍ على حائط مبلل
(المجعلك) مثل "أكورديون" قديم
أظافر الخجل مغروزة في جسدي الثلاثيني السريع العطب.
أنا المسافر بالأيام أحمل مزامير (عجقتي)
وقصائد رياض صالح الحسين كتعويذة لتحميني من شرورِ جنسيةِ
جواز سفري
أخوض حربي مع الصداع والمغص وأفشل تماماً بمعالجة هذا
الأرق.
أنا الذي أشتاق هذه اللحظة إلى فخذيك الكنغريين، وفمك الكرزي
ولثغتك المدمرة للغة.

شتتني تضاريس جسدك في فيافي العالم. أحتفل بك الآن في البرتغال وأحضرَ الشام إلى ساحة "الارغو دو شادو" وأجلس لأتصببَ على بحيرة سرتك الهائجة.
أنا المراهن على تذكرتي في بارات العالم. أفوّت علي القطار الذي يقودني محروساً بالدّعاء إلى مخدتك التي تتسع دائماً لثلاثة .. الملحد الخجول. أبسمل كلما همَمْتُ بالتهام أجاصكِ المثيرَ للمعصية.

.. رفيق الأمسيات الشاحبة في "لشبونة". أسمع البرتغالية في عينيك، وأشاهدها بأصابعي. أوزع الحلوى على المارّة، يلحسون مثلجاتِ غيابك، ويدهنونَ أجسادَهم بمراهمَ واقيةٍ من شمسك اللاذعة.
أتوطأ على لعنة حضورك أيتها الشقية
في هذه المدينة التي يختلجها اللون الأصفر الحاضر في كلِّ شيء
ذلك الأصفر (العكروت) الذي طالما تجنبتِ ارتداءَه

.....
إذاً لا مناص سوى إنكارك كلّما عننت على البال
أمضي يومي شاتماً زيتونك واخضرارَك البهيّ على نواصي اللحظات الخالدة الخالية من توثيق عينيك المليئتين بالحبر والحيرة
عارياً كما ولدتني اللحظة
مبعثراً في الفراغ الجليل..

ربيبُ القلق
مثقلٌ برموزٍ سهلة الحزر
مُبتلِعٌ نياشينَ الخسائر الوارفة
والبطولاتِ المبثوثة في نشرات الأخبار
أرفرف كعلَم منكَّس..في مدرسة مهجورة.

مخموشٌ بمخالبك التقية، تخرّش حباليَ وآبار الأصوات الغميقة
في حنجرتي
فأصبح قابلاً للغناء، أقصد الانمحاءَ حتماً
مسكون بأسنان ظلالك، أطلي البيت بأنفاسك
أجلس على "الصوفا" لأستمعَ إليك محدقاً في الجدارن
وأنت تتلينَ صلاة الجسد والغياب
أدخن ثلاثين سيجارة، علَّ قلبيَ يهدأ
أمدُّ يدي إليك كتيهٍ بخمس حصواتٍ على شكلِ نخلات
أغيّر ناصية الشعور
أدور في قفرٍ ممكن، دائم، مستتب، مثابر.....
أتعاطف مع الخير وجمعياته
الشعراء ونهايتهم
والآلام اللجوجة .. كحكّة مفاجئة

إذاً في لشبونة كما في الشام

لا يتغير شيء إلا بمقدار مشيئة الأرصفةعلى حملنا، بعيداً عن
اللجّة ذاتها
فهنا
عرائشُ اليانسون تنبت على شفتي
ويدك الطويلة الاستراق تمسكني من نفيري
كل ما حاولت ابتلاعه سابقاً
بدأ بالخروج مني
أنتبه في مقهى "برزليرا"
إلى النادلة البرازيلية
التي لا تتقن رقص "السامبا" إنما خلق الطبول والآلات القارعة
وهي تقول بخمول يثير الذهول
الحكومة تعطينا القروض لعمليات تكبير الصدر!

فأحاسب وأمضي
مودعاً عينيها البنيتين
والقهوةَ المنبعثة في أجيج قميصها المفتوح الأزرار العلوية
لأصحو
من نعاسي الشاهق
البنت البرازيلية المنكوشة الشعر
ذات الصدر الملقم بالسلكون
تغادر وهي تزرّر قميصها
والفاتورة ذاتها

تتكفل بها "الكردت كارد"
وأنا أوضب حقيبةً أخرى
وأمضي...

القسم الثاني

نشر هذا النص لأول مرة بتاريخ ٦-١١-٢٠٠٥ في جريدة "أكسجين الثقافية"، ونسب للشاعر الكبير مظفر النواب، في الشهر العاشر ٢٠٠٩. في موقع "الحوار المتمدن"، من قبل صحفي عراقي رأى به رداً من مظفر على اتهامات بغداد لدمشق بتفجيرات الأربعاء الدامي بعنوان "النواب ينصف دمشق"...؟ وبعدها أنتشر النص في على إنه للشاعر مظفر النواب.

بالنسبة لي كما قلت في البداية لا مشكلة يمكن أخذ النص ونسبته لمن تريدون ولكن أبقوا عليه كما هو.

إنـها دمشق يا أولاد القحبة

شقيقة بغداد اللدودة، ومصيدة بيروت، توأم القاهرة، وحلم عمان، ضـمير مكـة، غيـرة قرطبـة، مقلـة القـدس، مِـْنَـاجُ المـدن وعكـاز تاريخ لخليفة هرم.

إنهـا دمشق امـرأة بسـبعة مسـتحيلات، وخمسـة أسـماء و عشـرةُ ألقـاب، مثـوى ألـف ولـي، ومدرسـة عشـرين نبـي، وفكـرة خمسـة عشر إله.

إنهـا دمشــق الأقـدم والأيـتم، ملتقـى الحلـمِ ونهايتُـه، بدايـةُ الفـتح وقوافلُه، شرود القصيدة ومصيدةُ الشعراء.

مـن علـى شـرفتها أطـلّ هشـام ليغـازلَ غيمـة أمويـةً عـابرة، "أنـى تهطلي فخيرك لي" بعد أن فرغ من إرواء غوطتها بالدم، ومنها طار صقر قريش حالماً، ليدفن تحت بلاطة في "جبال البرينيه".

إنها دمشقُ التي تحملت الجميع: قوادين وحالمين، صغار كسبة وثوريين، عابرين ومقيمين، مدمني عضها، مقلمي أظفارها، وخائبين وملوثين، طهرانين وشهوانيين....

رُضِعت حتى جفّ بردى، فسارعت بدمها بشجرها وظلالِها، ولمَّا نفقت الغوطة، أسلمت قاسيّونها- شامتها الأثيرة – يَلعقونه، يَتسلقونه، يطلّون منه على جسدِها، ويدْعون كلَّ السفلة ليأخذوا حصتهم من براءتها، حتى باتت هذه مهنةُ من يحبّها ومن لا يقوى على ذلك..
لكنَّها دمشق، تعود فتيّةً كلما شُرِقَ نقيُّ عظامها.

إنها دمشق أيّها العرب العاربة والمستعربة، قِبلة سيّاحكم، ومحط مطيكم. تمنح لقب الشيخ لكلِّ من لبس (صندلاً) واعتمرَ (دشداشة)، ولا تعترف إلا بشيخها محي الدين بن عربي، الذي صرخ منها: "إلهُكم تحت قدمي"..*
هو من لم تتسع له الأرض. حضنته دمشق تحت ثديها. ألبسته حياً من أحيائها، وقالت له: انطلق أنت أجَلُّ الأموات،
فغنى لها: "كلُّ ما لا يُؤنث لا يُعول عليه"...

إنها دمشق، لا تعبأ باثنين: الجلادين والضحايا. تؤرشفهم وتعيدهم بعد لأيٍ على شكل منمنمات تزين بها جدرانها، أو أخباراً في صفحات كتبها، فيتململ ابنُ عساكرَ قليلاً يغسل يديه ويتوضأ

لوجه الله ويشرع بتغطيس الريشة في المحبرة، لا ليكتبَ بل ليمرّرَ الحبرَ على حروف دمشقَ المنجمةِ في كتابها المحفوظ.

دمشق التي تتقن كلَّ اللغاتِ ولا أحد يفهم عليها. لا تقرأ بالكلمات بل بإحصاء ضحكاتِ الله ومكائد الملائكة.

دمرَّ "هولاكو" بغداد وصار مسلماً في دمشق. حرَّر صلاحُ الدين القدسَ، وطاب موتاً في دمشق. قدم لها الحسينُ ابن عليّ ويوحنا المعمدان وجعفر البرمكي رؤوسهم كي ترضى دمشق؛ وما بين قبر زينب وقبر يزيد خمسة فراسخ ودفلة على طريقة دمشق.

إنها دمشق، لا تحبُّ أحداً، ولا تعبأ بكارهيها. متغاوية ووقحة تركلُ عشاقَها خارجاً بقسوة نادرة كي لا ينسفحَ الكثير من دمهم، وتتفرغ للغرباء الذين ظنوا أنفسهم أسيادَها، ليستفيقوا فجأة وإذ بهم عالقين تحت أظافرها.

إنها دمشق: تتقن عمل الله ومَكْرَهُ حين يمهل ولا....

حين يحب الجمال، وحين يستريح طوال الأسبوع ويعيد خلق العالم على مهل، دون أن يعرف أيُّ أحد متى يكون اليوم السابع.

لديها من الغبار ما يكفي لتقصَّ أثر من سرقَها فتحيله متذرراً على جسدها.

لديها من العشاق ما يكفي حبر العالم، ومن الأزرق ما يكفي لتغرق القارات الخمس.

لديها من المآذن ما يكفي ليتنفس مُلحدوها عبق إبط الملائكة، ومن المداخن ما يكفي "لتشحير" وجه الكون.

لديها من الموت ما يكفي لينفخَ "إسرافيلُ" في {الصُوْرِ} معلناً قيامتَهم جميلين، ليعانقوا الموتى الآخرين للمرة الأولى والأخيرة.

ولديها من الوقت ما يكفي لترتب قبلة مع مُذنَّب عابر، ومن الشهوة ما يدعو نحل الكون لرحيقها.

لديها من الصبر ما يكفي لتنتشي بهزة أرضية، ومن الأحذية و(الشحاحيط) المعلقة في سوق الحميدية ما يكفي للاحتفال بخمسين دكتاتوراً.

لديها من الحبال ما يكفي لنشر الغسيل الوسخ للعالم أجمع، ومن الشرفات ما يكفي سكانَ آسيا ليحتسوا قهوتها ويدخنوا سجائرهم على مهل.

لديها من القبل ما يكفي كلّ حرمان المجذومين، ومن الصراخ ما يكفي ضحايا "نكازاكي" و"هيروشيما" الذين لم يكن لديهم وقت.

لديها من الخمر ما يكفي كي يثمل العرب جميعاً، ومن النوم ما يكفي كلّ ما حلم به الأنبياء.

لديها من النهايات ما يكفي ثمانين "إلياذة"، ومن الأجنة ما يكفي لتشغيل الحروب القادمة.

لديها شعراء بعددِ شرطة السير، وقصائد بعدد مخالفات التموين، ونساء بكلِّ ألوان الطيف وما فوق وتحت البنفسجيّ والأحمر.

لا فضولَ لدمشق، لا تريد أن تعرفَ ولا أن تُسرع الخطى. ثابتة على هيئة لغز. الكل يلهثُ يرمحُ يسبحُ، وهي تنتظرهم هناك، إلى حيث سيصلون.

دمشق هي العاصمة الوحيدة في العالم التي لا تقبل القسمة على اثنين. في أرقى أحيائها تسمع وجع "الطبالة"، وفي ظلمة "حجرها الأسود" يتسلق كشاشو الحمام كتفَ قاسيونَ ليصطادوا حمامةً شاردة من "المهاجرين".

دمشق لا تُقسَم إلى محورين، فليست كبيروت، غربية وشرقية، ولا كما القاهرة (أهليّ) و(زملكاوي) ولا كما باريس "ديغول" و"فيشي"، ولا هي مثل لندن شرق وغرب نهر "التايمز"، ولا كمدن الخليج العربي مواطنين ووافدين، ولن تكون كعمّان فدائيين وأردنيين، ولا كبغداد منطقة خضراء وأخرى بلون الدّم....

دمشق مكان واحدٌ، فإذا طرقت باب توما ستنفتح نافذة لك من باب الجابي، وإذا أقفل باب مصلّى فلديك مفاتيح باب السريجة، أضعت طريق الجامع الأموي، ستدلك عليه "كنيسة السيدة".

لا تتعب نفسك مع دمشق ولا تحتار، فهي تسخر من كليهما: مَن يدعي أنه يحميها ومن يهدّد بترويضها، فتود أن تعانقها أو تهرب منها، تلتقط لها صورة أو تحمضُها كلها.. تود أن تدخلَها فاتحاً أم سائحاً، مدافعا أو ضحية، ماحياً أو متذكراً كل شيء دفعة واحدة.

فتخرج سيجارة (حمرا) طويلة، تشعلها بخمسة أعواد كبريت ماركة (الفرس)، وتقول جملة واحدة للجميع: "إنها دمشقُ يا أولادَ القحبة"*.....

*** حكاية ابن عربي المشهورة في دمشق لما جمع الناس صائحا "إلهكم تحت قدمي"، وكان يدوس ديناراً ذهبياً.**

بيكس نامبر سكس

كان اكتشافاً يعادل فرحة "كولومبس" عليه السلام. "بار" مُشرّع الأكواب وأنا الملفوح بهبات الإيمان الرمضانية أردد مع أبي نواس:

"ألا يا شهرُ كم تبقّى؟ غَرَضنَا ومللناك
إذا ما ذكر الحمد لشوال ذممناك
ولو أمكن أن نقتل شهراً لقتلناك"

كيف أمكنَ لشاعر أن يهجو رمضان،ويتمنى قتله، قبل ألف عام وسط عاصمة الخلافة الإسلامية، بجوار (قداديس) الفقه! كيف تجرأ على إشهار قصيدة "الوصايا"، وأنا، أقتبس بعضاً من أخفِّ معانيها!

"لا تَبْكِيَنَّ على طلل ولا على حبيب رحل

والجار خلِّ سبيله وقذفه من أعلى الجبل
دعْ عنك قول الناس هذا لا يجوز ولا يحل

نيك الغلام إذا نشا وإذا التحى وإذا اكتهل
سيَّان عندك من يكن من يصلك ومن وصل"

وكيف أمكن لفقيه بحجم الشافعي أن يقول: "لولا تهتك أبي نواس لأخذت عنه العلم"!

كيف يمكن لفقيه معاصر أو شاعر معاصر أن يصل إلى كعبيهما! أيُّ مكان كان يتسع الجميع هناك، وأية ضِيقة تخنق الكلّ دون هوادة هنا. أيّ نكوصٍ وارتداد نحياه لنتحسَّرَ على هذا الماضي ونتمنى مقاربة أفكاره في "البار" المفتوح!

دخلت أبحث عن "بيرة" مثلجة تطفئ هذا الظمأ وحروقَه، فكانت "من ماركة بيكس الألمانية" طازجة. شربت نصفَها جرعة واحدة.

قشعريرة لذيذة أحضرت لي وصية "إبراهيم صموئيل": لا تنسَ طعم الرّشفة الأولى في كل جلسة لشرب البيرة، لا تنس طعم الرشفة الأولى.

رشفة فتحت شرخاً في ذاكرتي.. في مكانٍ يعجّ بالرّوادِ وأبي نواس و"إبراهيم وصموئيل"، فأقرر كتابة رسالة لرجل يحيا هناك في المكان غير المناسب.

كم هو رائع في لحظات الوحدة ألا تفكر بامرأة، بل تجلس على ضفة الذاكرة، علَّك تعبر إلى ضفة أخرى؛ هذا ما نقوم به عادة حين نصل إلى الحافة، وقدرتها الراسخة على ابتكار السقوط.

نتوهم شيئاً يسيل أمامنا متدفقاً قوياً، وهادراً إذا أمكن، يضفي على الوهم مزاجاً عنيفاً وضفةً أخرى لنمدَّ إليها جسراً.. إذا ما فشلنا في مخيلة الضفة، سنسقط دون ريب لأن العودة إلى الوراء بعد كل هذا الشقاء هو الموت (خوزقة).

إذاً ثمة مبررات بحجم تجنّب الخازوق، تحرّضُ لبناء جسر من الحبر مع أيّ كائن من نفس الفصيلة التي أنتمي إليها "O+" تحديداً، الشيء الإيجابي الوحيد غير المشكوك فيه عندي.

"بيكس نامبر ٢"

خرائط لدول الشرق الأوسط الجديد. ألعاب قاسم والمزرعة. صحفيّة روسية مقتولة، و"بابا الفاتيكان" يحاول الخروج من العقل الذي أوقعه في شرك اللغة مع أمّة اللغة. كرنفال الدم، وقتيل كل أربع دقائق. في العراق حوار أديان وقتل على الهوية.. حديث طرشان، ياه! لنغير القناة كلما أمكن ونطلب:

"بيكس نامبر ٣"

شنب شارلي شابلن وشنب هتلر. شارب دالي ولحية كاسترو، وفارت البيرة على لحيتي.

"بيكس نامبر ٤"

في "تلفوني" الخليوي "ماركة سامسونغ" ٤٨٨ اسماً، هم حصيلة من عرفت تقريباً على سطح هذا الكوكب؛ أكتشف أنه لم يمت منهم أحد. كلهم على قيد الحياة.

أية مراهقة وجودية هذه: ما زلت أحيا. كل معارفي على قيد الحياة. حتى جدتي، بلغت ١٠٧ سنوات* وما تزال حية، كل أشقائي أحياء، وأبي وأمي أيضاً أحياء. عائلة كاملة لم تفجع بعزيز!

كم تمنيت أن أكون يتيماً يوماً، فالأيتام غالباً ما يعفون من اللوم أو يصبحون أنبياء.

لدي كمٌّ من الأحياء يفيض على قدرتي واحتمالي. أريد أمواتاً لأتذكرَهم ولأحبّهم وأدعي معرفتهم وأخلق قصصاً لا يكذّبونها، وأصنفهم فلا يخذلوني، وأبوح لهم عن النساء اللواتي أشتهيهن هذه الأيام - وكلهن فوق الأربعين ما عدا واحدة في السادسة عشرة - فلا يفضحوني، فأنا مكتظ بقصائد الرثاء. أريد أن يموتَ من أحبهم. أريد أن يصبحَ لي شغفٌ بفقدانٍ حقيقيٍّ يطلق سرباً من الأسئلة التي لا تجاب إلا بالشعر. تخذلني قائمة معارفي ٤٨٨ حياً، فأبدأ بمحو أسماء من قائمة "هاتفي المحمول".. أفضل طريقة للقتل: محوٌ واثقٌ لأسماء تواجدت في هاتفك المحمول ولم تعد تدري من هي.. أشرع بمجزرة جماعية وأطلب:

"بيكس نامبر ٥"

أمامي ورقة لقائمة الطعام. قلبتُها على ظهرها، أصبحت ورقة بيضاء. فوجئت، بل دوهمت بورقة بيضاء ناصعة مقلوبة على ظهرها تصلح لكثيرٍ من الأشياء:
ورقةَ نعوة، صكَّ ملكيةٍ، تقريراً أمنياً، سندَ أمانة، عقدَ زواجٍ عرفيٍّ أو مِسيار، إقراراً واعترافاً بالتنازل عن شيء أثير..
ورقةٌ مقلوبة على ظهرها تصلح أن تكون زورقاً في نهر، صاروخاً هوائياً يحاول دخولَ شبّاكٍ في الطابق الثالث، مقالاً يثير نعرة طائفية، مخططاً لكنز، بياناً لحزب، قائمة أعداءٍ لتصفيتهم..
ورقةٌ تصلح لتكون تعهّداً بعدم تكرارِ الذي حصل..
ورقةٌ بملايين الاحتمالات. تفتح شهيةَ الحياة، تصفعني قائلة: إذا كانت هذه احتمالاتُ ورقة (مطبوبة) على ظهرها، فكيف إذا امتلكتَ ورقةً بيضاءَ على الوجهين!
أشعر بغطرسة "البيكس نامبر فايف"، وأغنّي بصوتيَ القبيح طالباً "نامبري" المفضل:

"بيكس نامبر ٦"

تحضر امرأة، من كثرة ما اشتهيتها "ذهبتُ قبلَ أن تأتي".[١]
امرأةٌ انفجرتْ غيضاً، أو فخخت عمداً. تشظت لكلِّ نساء العالم؛

ففي كلّ امرأة في هذا الوجود شيءٌ ما أشتهيه. أودّ احتضانَه، لعقَه، قرصَه، فكه من ارتباطه، وأخذَه معي لأعيدَ الجسد الذي تشظّى. كلّ امرأة ألمحُها، أبحث فيها عن مسامة تعنيني، نثرةٍ من روح، فلذةٍ من حَلَمَة، حرفٍ من الكمال، صوتٍ لصلاةٍ ممزقة، إتمامٍ لفقد، هجرانٍ أكتوي به، فلذةٍ أرتق بها ثقبَ العدم، زرٍّ من قميصها، ملمحٍ لذكرى، لتكورٍ، لرحم، لدبق، لالتصاق، لفتنةٍ، لتهور، لغوايةٍ، لضباب، لحيرة، لسرٍّ، لنضوب، لخراب، لهبوبٍ، لسراب، لدم مباحٍ لا يتاح، لشغفٍ كشغف الحلاج وهو يراهن على روحهِ في صراعه مع شياطينه:

"لو اطَّلَعَ زرّي على سري لقلعته"[٢]
لو اطلع قلبي على جسدكِ لمعستُه. أريدك خارجةً من أربطة الهداية، منتحرةً في اللحظة التالية، خائبةً كما يليق بعاشقة شاميّة، مترنحةً كراقصةٍ، وساقطةً كقديسة..
تمرينَ بي أيتها الأنثى، أيها الوعل الجامحُ، المُستريبُ، المستتر، المتهيّج المتنحي، البطيء، الكثيف. "سلام لحمامك يطير على برجي ولا يترك أثراً وراءَه".[٣]

ألهَجُك لمساً مُباركاً وأُنكرُ الكلام؛ كيف أتعرّفُ على ما لي لديك دون أن أمشّطك كلَّك؟
أعزقك، كأرض بور. أحرثك بأثلامَ غواية بوحدة تشبه فعل الخلق في ستة أيام.

وفي "البيكس" السابعة استراح.

كان لا بدّ من القصيدة تفيء بظلِّها من حرارة جوفك ولسعة
الرطوبة وبردِ الوحدة
قصيدة أقرب لمصيدة
لشرَكٍ محكمٍ تصطاد به الفراشة، لضوءٍ لاسعٍ تحيلَه وقوداً لتطير،
قصيدة تفتك بصاحبها الممدّدِ بالعراء بلا عزاء

قصيدة متحررة

(تنفلش) بلا غطاءٍ تحت السماء
يستمني عليها الشعراءُ والشاعرات
ويشبعونَ حرف الروي.

قصيدة طاهرة
خالية من الأثداء
واندلاعِ سيلان الشهوة من الفرج المملّح
والعضوِ المصابِ بالزهريّ.

قصيدة عامية
تنكث بالخليل والخلّ وتبيح الخليلة

تعيد شراعَ الشعر لبحر الهيولى

قصيدة للوطن
خالية من الشفقة
فيها كلمة "كلاشنكوف"

قصيدة تكسر المحرّمات
تصف ما لا يوصف
فيتمدد الشاعر عارياً
وتنيكهُ الاستعارة

قصيدة عن الحب
يخصى فيها الحب
وتمجّد السيجارة
بعد العادة السرية

قصيدة متمردة
تصف الشوقَ للهتك
وتعجز عن الانتصاب

قصيدة غنائية لليافعين عن الربيع
يكثر فيها الرمل

يقول الشاعر:
إنّ الربيعَ رمزُ الأمل والمستقبل العربي الزاهر المشرق "المفعم"
بالعطاء والجمال يا للهول من فداحة وبشاعة كلمة مفعم....
أغيثوني..
قصيدة عن الجنوب، أيّ جنوب في هذا العالم الملتبس الجهات
كلّ مفرداتها من الشمال

ماذا تبقى من مواضيع، لم أعد أريد التمييز، فقط الجرعة الأخيرة
من القنينة،
وألقي السلام على أبي نواس والكثير على إبراهيم صموئيل
ورائحة الخطو الثقيل التي ما برحت تلتصق بنا، وأغادر ملحوقاً
ببيت شعر من النواسي يقول فيه:
راح الشقي على رسم يسائلها ...ورحت أسأل عن خمارة البلد
يبكي على طلل الماضين من أسد (أنيك أمك!) قل لي من بنو أسد

- توفيت جدتي بعد كتابة هذه المادة بشهر.

١ - من قصيدة لعيسى إدريس بتصرف "من كثرة ما انتظرتكِ، ذهبت قبل أن تأتي".

٢ - من ديوان الحلاج.

٣ - مقطع من قصيدة لشاعر إيراني.

٤ - النصوص المحرمة لأبي نواس تحقيق جمال جمعة إصدار دار الريس.

في غفلة يتسرب

أشتاقُ إلى الأشياء التي جمعتني بك
المشي حتى تورُّمِ القدمين
(سندويشةِ الفلافل) وترفِ الهدايا في عيد الحب
أشتاق إلى تشاكلِنا في الطرقات وابتسامة المارّة لنا
....
وكثيراً، أشتاق إلى دمشق
دمشق الفقيرة الكريمة مع المحبين.
أشتاق إلى التباهي بك، وجيبي خالٍ إلا من الثقوب وخمسين ليرة
سأوصلك إلى منزلك بنعمة التاكسي وأعود ماشياً إلى "قدسيا"
أتوقف كلّ ربع ساعة على ناصية الهاتف وأحادثك.
أشتاق لبيع كتبي وتسديد أجرةِ بيتٍ
لدخولك في التاسعة صباحاً غرفتي المستأجَرة بحجةِ أنك تتلقين
محاضراتك الهامة المبكرة في الجامعة
لقلينا البيض في المطبخ، وارتفاع الكولسترول في دمنا
وتخفيضِه برياضتنا الأثيرة.
أشتاقُ لطهوِ جسدَكِ بزيتِ جسدي وإضاءة المكان بـ (لُوْكْسِ)
اللحظات المشعّة

وتسمية القبلات بأسماء مشتقات السماء.
أشتاق لتلك العطالةِ المدهشة وما تحتويه من محاولاتٍ فذّة لكسوها بالخطير والكثير من المثير والزعل من الوقت لأنه لا يكفينا
نحن الفقراء الذين كنا نملك من الوقت أبديّته، نصنع قصوراً وأحلاماً من الورق والكلام والكتابة
الحكيُ بضاعتنا الأنفَس
رائعون لأننا نحبّ بكلِّ ما فينا، بآخر ما فينا. رائعون لأننا لا نملك شيئا سوى حبِّنا.
حبيباتنا محظوظات، لأنهنَ أجملُ النساء، أروع النساء رغم الغيرة وقلة الرفاهية
لكنّ ما يحصلن عليه هو الأنفَس، لأنَّه كلٌّ وغير مكتمل معاً، تعوزه اللمسة الأخيرة،
ولأنَّه كلُّ ما يملك الرجل.. سوف يودي كالعادة إلى الفراق،
لأنها معادلةٌ لن نفهمها جيداً. لن نعيها حتى نكبرَ قليلاً أو نثملَ كثيراً
ونكون قد خسرنا كلانا
شرَّدَنا وهمُ أننا نستحقُّ الأفضلَ، وقد كان لدينا الأفضل. كان لدينا ما لا نستطيع أن نحظى به لاحقاً
لكني رغم هول "الاشتياقات"، لا أريد العودة
فما زال مبكراً أن أجلسَ على الكرسيّ الهزاز وأتذكر...
فقط أشتاق.

في مناسبة يوم الشعر العالمي:
٢١ أذار، مارس من كل عام

شفير الشعراء

الفحمُ في منقله
وحفلة الشّواء
حرارةُ عينيِ أفقٌ مشتعل
برسم الحبّ
لساني وضوح التيه
أنا بردانُ، جوفي أسودُ، ممتد بلا يقين
أحدق في الكتف (المشلوعة)
بالألم الذي لا يطاق
بالنّدمِ الوافرِ
بالصّمت الذي لا يُطاق
بالسعادة المزدوجة الهوية
بالوحشة التي لا تطاق
بعذاب اليقين
بالحب الذي لا يطاق
بالنساء الشقيات

بأشباحهن التي لا تطاق

...

...

يقتفيني

ندمٌ يلعق أثَري

وسؤالٌ له نكهة المرارةِ الممزوجة بحرقة المعدة؛

كيف لم أكن سافلاً كفايةً كي تقتليني؟

ندمٌ لا يُضلّل بحاسة شمٍّ كونيّة.

يكفي أن أتنفس لِيُستدلَّ عليّ

ندمٌ على شكل شفرةٍ مطحونة جيداً في الخلاط، يشرب مع دواء السعال

و"قزاز" مهروس أقرب للعجينة يضاف لخبز إلى الصباح.

-١-

الهروب إذاً

مجرةُ النسيان القريبة

خطوة واحدة، ضربة (بالشاكوش) على الرأس وسأكون هناك

متخلصاً للأبد من الاكتفاء والحاجة

علاماتٌ تامة

لا نقص يثير التعاطف

وجهٌ مكتمل الفقد

يقين قادم من سنوات الثمانينات مطل برأسه "كخزعبل" صار يقيناً
تشرب الحبر بشراهة
على مطلع الدرج، تنفرد السيدة بحصانها
نغل.. وبغل.. وغل
في سكينةِ لحظة القذف المجيد
القذفُ، القذف، ثم الهطولُ في أغوارها
تهدأ العاصفة
وتبدو العاطفة مثيرة أكثر من الشفقة
الخدر يتسلل
مأخوذاً بالفراغ يمتطي حصاناً يجرّه مذنّبان كانا رجلاً وامرأة يشدّ الرسن المصنوع من الضوء. يلهب صوت الريح على الجسد يشلح (كلسَاته) ويمشي حافياً في الفراغ
من أي كوكب أنت؟

-٢-
يعضك الحارس ينتش هبرة الكتف.
يملأ الأنبوبة
زمرةُ الدم.. تجمّد الحبر في عروقه:
كيف وصلت هنا؟؟
- الشعرُ يا سيدي هو الشعر.
- اخرس وتابع المسير، سيرافقك حارسان.

- إلى هناك.
- أردف بعد صمت موتور
حملنـي كـائنٌ أرجـوانيٌ يضـع كمامـة خوفـاً مـن عـدوى أرضـية تصيب خصيته فيبدأ بنيك نفسه.
- وانتبهت أني لا أتكلم
لا صوت ولا كلام ولا لغة.
يمر بقربي "دو سوسير" ضاحكاً:
- سلاماً على من اتّبعَ اللغة،
ستُعالج هنا ألامُك وأوهامك،
أدخلوه غرفة الحبور!
صاح رجل بعضو كبير يتّكىء عليه:
- هنا ستحدّد يومَ موتك ويوم ولادتك
فقط فكر بهما.
الأفكار تتحقق
إذا أردت أن تكون لصاً فكر بالأمر، ستصبحه تواً
وما عليك إلا أن تكون شرطياً حتى تقبضَ على نفسك
الموت هنا طواعية، ويمكنك العدول عنه،
والنهائيُّ ليس نهائياً.. دائماً ستكون لديك فرصة لتفكر به
ستكون حياتك على شكل آثار منتصبة أمامك
ولكنهم هنا لا يعبؤون بفنّ النحت ولا بالعمارة والمسرح والرسم،
وأيّ شيء معرَّض لزوالٍ بعارض طبيعي فلا يعول عليه
هنا الآثار فقط شعراً.

بابُ المحوِ يفتح لك عمرَك المحفوظَ في قصيدةٍ هي نتاجُك منذ الولادة إلى هذا اليوم.
رفوفٌ لا متناهية، مرقوشة بالقصائد
بعضُها لامِحٌ سريع، خاطف، ممزق.
بعضها معقّد وطويلٌ وممل ورثٌّ، وبعضها صفحة واحدة تشعُّ قلقاً
تلك كانت صحيفة المتنبي.
أين رحل كاتبو القصائد
تتعرفُ عليها مليارات المخطوطات، تقرؤها بلغة ما قبل بابل،
كلّ ما تتلوه يتمرأى أمامك
ويذوب متوشحاً بالضوء، لكلٍّ ضَوؤُه المخزون في عينيه، ولكلٍّ ذئبه وجبّه وأنبيائه.
ولكل ذهبه وفِضته،
اللذة تصبح خاتماً، وكل ذروة تغدو إسواراً، والنشوة المفروكة المدموغة بالوهج الضّالّ تصبح "سنسالاً"
كان المسيح خالياً من الحلي.
و بوذا فقيراً
أما الشيخُ محي الدين بن عربي، فمطموراً بالخواتم.

-٣-
كان لابدَّ لي من العودة من غياهبِ المعنى لأكتبَ شيئاً عن الشعر.

يجيء الشعراء، ليعوضوا البعيدين، ويصنعوا من رائحة القهوة وشغف الريح ورائحة إبط الحبيبة، ملمسا فذاً مخرمشاً بالدّلالات.
هل يستحقُّ الشعر يوماً الاحتفال؟ هل يستحق الشعراء يوماً ليتوقفوا عن الإنشاد والنشيد، ويتأملوا قديسيهم وصرعاهم، ليدفنوا شيوخَهم بمهابة القول الرجيم؟!
إنها بلادٌ تُصكُّ بختم شاعر. إنها أرضٌ تُطَوّب لِحلمِ شاعرٍ، ونساءٌ يتعمّدْن ببحور الشعر، ويتشمّسنَ عارياتٍ طازجاتٍ تحت ضوء نائسٍ من النثر الشّفيف ولسعاته الهائجة على أعلى النهدين. إنها البلاغة، يحترس الشعراء منها ومن فخ الملل والمثل والأمل.
يشعلون النار، مذ استهدوا على سر الآلهة، وسرق لهم بروميثيوس النارَ من القمة، وهم يحطبون الأشجار ليتخلصوا من برودة العقل، وهم يُفَخِّخون غيمةً عابرة لتمطرَ نبيذاً وزرافاتٍ وأزراراً من قمصانَ مفتوحة، وهم يلتقطون الزفيرَ الخارج من تجويف ثقب في القلب، ويعجنوه ليصنعوا منه سُبْحاتٍ يعدّون بها أسماءَ الشاعر الحسني.
فهل يمكن أن نذكر "تشيلي" بلا "نيرودا"؟ هل يمكن أن نمرّ بتركيا بلا "ناظم حكمت" و"أورهان ولي"؟ هل لدى أمريكا من هو أحق بالمحبة من "وولت وتمان"؟ هل نستطيع النظر لوجه فرنسا دون أن نرى تشطيبات "أرثر رامبو" وسهد "ليتريمون"؟ كيف يمكن أن نتحمل ثقل دم ألمانيا لولا "غوته"؟
وصقيع إنكلترا لولا "ت. اس. إليوت"، وهو من يوزع المهمات على الشعراء لكي يعيدوا الشعرَ للعالم باستمرار؟

شعراءُ – بإبرهم - يقطبون فوَّهاتِ الجحيم ويسدونَ فجواتِ الريح والـــــروح بأناشـــــيد... فيَـــا لهـــا مــــن مهمـــــة!
ألم يهتدِ أهلُ العراق دائماً لبغدادَ ببوصلةِ السياب وسعدي يوسف وعامّية مظفر النواب؟
ألم يضخّ مالك حداد - الذي عمل كقلب لا كشاعر - الدماءَ في جسد الجزائر، وهو يصيح: "الشعر مهنة يفقد فيها الشاعر الريش ويبقي يطير"؟
ألم تقطن تونس طوال عقود تحت سقف بيت من الشعر لشاعر واحد، مات قبل الثلاثين وهي تردّد:... لا بدّ أن يستجيبَ القدر؟
ألم تكن غيوم أنسي الحاجّ، هي الغيوم الوحيدة الصالحة للهطول كلما انقطع المطر عن بيروت؟ ألم يذكر "ميشيل طراد"، حارس قلعة "بعلبك" طوال أربعين عاماً، السياحَ وأنصافَ الشعراء و المتشاعرين إنّ مسماراً في" بصطار" شاعر أغلى من أثمن جوهرة (بهالكون)؟
أوليس أدونيس وقباني والماغوط هم من ستنحت دمشق يوماً أسماءهم على جبينها؟
أوليس قاسم حداد، هو البحر الثالث في البحرين؟ وأمل دنقل هو الهرم الأكبر مكتوباً عليه لا تصالح؟ محمود درويش ومعين بسيسو وإبراهيم طوقان، هم من ائتمنهمُ الناس علي فلسطين؟
أولمْ يكونوا مُحقين في الزمن القديم، إذا ألقوا القبض علي الشاعر أن يربطـوا لسـانه خوفـاً مــن لعنـة سـتدمغ أعـداءَه للأبـد؟
وإذا وُلدَ ٍشاعرٌ في قبيلة احتفلوا به كفارس، وإذا مات كان شهيداً؟

ألم تُنَصِّب اسبانيا، "لوركا" شهيداً للأبد؟ وترقَّص الخيول علي فوران دمه؟
في يوم الشعر العالمي، نبحث عمّا تبقي من الشعر العربي بين نفايات الفضائيات، فلا نجد إلا أن نستجيرَ ببذاءة مظفر النواب، نستضيء بشموعه في عصر "البلجكتورات" الباهرة وهو يقول: "بعضكم سيقول: بذيئاً، لا بأس أروني موقفاً أكثر بذاءة مما نحن فيه".
إنهم الشعراء يتبعهم الغاوون
فمازال.....
الفحم في منقله
وحفلة الشِّواء
حرارة عيني أفقٌ مشتعل
برسم الحبّ
و لساني وضوح التيه،

رجاء

أنتم مشغلون بالحرب، ونحن مشغولون بالحبّ.
أنتم مشغولون بالمؤامرة، ونحن مشغولون باختلاس الغفلة من الحرس لنتواجدَ معاً.
أنتم مشغولون في المفاوضات والمبادرات، ونحن مشغولون بالشغف والقُبَل.
كم هي مملة الحياة في بلداننا حين تخلو من الحب؛
أصلاً هو الشيء الوحيد الذي تبقى لنا!
الحبُّ مكلفٌ أكثرَ من حرب، أكثر من غزوةٍ يريدها أصحاب التقوى الملتحون، وأكثر من العيون المدربةِ على إحصاء الأنفاس،
ومن منظفي المدينة، ومنسقي الأزهار الاصطناعية في المؤتمرات.
الحبُّ مسألةٌ شخصيةٌ، يتدخلُ الجميع فيها..
حينها، يصبح العاشقان جدولين رقراقين على أمل أنْ يلتقيا في نهرٍ عابر ويذوبانِ في لجّة بحرٍ قليل الملوحة.

حبُّنا فقيرٌ ولكنه سليمٌ ومعافى، لا يحتاج إلى خبراءَ أجانبٍ لتحويله
إلى بحيراتٍ تولِّدُ الكهرباء، وتغرق القرى.
الحب مجرّد جدولين صغيرين في قفر حياتنا وصحارينا الفائقة
الرمل
دعونا نسلك هذا الدرب الفقير. نُنبِتُ على ضفتينا بضعَ ورود
وعشباً صغيراً كثيفاً. دعونا نمرُّ بسلام، ونصل إلى بحيرة محتلةٍ،
أو تستنشقنا الأرض
وتمتصنا كعاشقة ولهى أو تلتهمنا كذئبة "شائهة"
فقط، دعونا نمر...

"لا تفكـــــــــــر تمَـــــــــــنَ فقـــــــــــط
هكذا تفعل الحشرات أيضا"
*** أورهان ولي**

اسطنبول

لا لا لا لا لا ترا ترا ترا لا لا
اشتريتها من اسطنبول. موسيقى غير معقدة مكونـة من أكورديون وطبلة.
رافقهما نايٌ، وفُرِشَ فوقهم صوتٌ لامرأةٍ تقول: لا لا لا لا لا ترا ترا ترا لا لا..
تتحدث عن حبيب غاب.
ذهب ليشتغلَ خارج البلاد. تطلبه أن يعودَ إليها. فستانها ينتظر.
أساورها الحلوة التي اكترتها من سوق (تقسيم) في اسطنبول تنتظر
كل شيء يغطّ في كوما الفراق ينتظر.
أغنية أخرى ساذجة عن عاشقة وحيدة غادرها حبيبها خارجاً كي يصبح قادراً على تحقيق حلمهما. أن يكونا رجلاً وامرأة عاديين، يحتفلان بالأشياء الهشة ويبنيان عالماً بسيطاً مكوناً من رجل وامرأة وأولاد، يشبهان أبي وأمي، اللذين ظللت طوال حياتي

أكره حياتهما البليدة البسيطة الخالية من المعنى، حتى سمعت هذا اللحن في اسطنبول، في "شارع تقسيم" بالذات. إنها القسمة والنصيب..

يا لهول "الأكورديون" حين يرافقه النايُ وتترقّق بهما الطبلة من البعيد!

تسع أرائك

الأريكة - ١ -

لا تلفتُ الانتباه
كما لا تصلح موضوعاً للحديث
يرخون مؤخّراتِهم عليها، وينتابهم الخجل حين ينهضون
لأنها تحاول الاحتفاظَ طويلا بالأثر، تحاول التشبثَ بهم حدَّ الالتصاق؛
عندها، يفطنون لها، ويصيحون مرة بهمس مسموع، والكثير من المرات بصمت كالح: متى تستبدلون هذه (الخردة)؟

الأريكة - 2 -

يقول: لو أنها أوسع قليلاً
ويتمنى الصغير لو أنها أخفض للأرض
المتعب يود لو أنها تصلح للنوم

أما الضيف، فيتمناها أقرب للكرسيِّ الذي تجلس عليه السيدة عادةً.
أما هي "الأريكة بالذات":
آه... لو كنتُ أرجوحة!..

الأريكة - 3 -

متينة تحتل الصّدَارة، حضورُها غيرَ ملحوظ، وغيابها ملموس لأن المكان يغدو أوسع ويصبح للحديث صدى. الكل يغير موضوعه وهي في الصدارة.
لا تُوضع عليها مزهرية، ولا تكتب عليها رسالةٌ، ولا يدوم عليها أحد..
الكل يذهبون، وهي في الصدارة.
أرجلُها متينة تتحمل جسداً ممطوطاً، أو جسدين متعانقين،
ويمكن أن يجتمع عليها عشرة أفراد لا يعرفون بعضهم بعضاً ،
وتخلق بينهم شيئاً أليفاً في فضاء رخو وشاحب.
هكذا في الصدارة، صدارة الأشياء التي لا تذكر.

الأريكة -4 -

بعد رحيلها
قرّر تبديل كلّ شيء، بدأ بتغيير أثاث المكان.

جلب طاولةً بُنيّة بدلَ تلك المتشققة، ولوّنَ (الكنبة)، ورمى الأريكة في مكبِّ النفايات؛ ببساطة، لأنها كانت تحبها كثيراً..
غير أن ظلاً لخيط خفيفٍ، لا يحتاج إلى الكثير من التحديق، مازال مُعَلِّما على الجدار من أثرها القديم، يشير على نحو ما: هنا كانت أريكة تحبها... كثيراً.

الأريكة -5 -

في غرفة للإيجار، ما تزال الأريكةُ شاهدةً على كلّ من مرّ.. تحفظ نتفاً من أحاديث من مرّوا.
الأريكة كانت – وحدها - الشاهدة عندما اندلقَ دمُ أحدهم عليها، وكوبُ قهوته أيضاً.
بعضُهم ترك لها شيئاً بين المسند والحائط، و أثراً من شهوة عابرة و حرقاً لسيجارة منسية، وقصاصةً من أشعار الحداثة.
تعشَّقت بين طياتها عطورٌ مختلطة، وروائحُ بشر عبروا من هنا؛ ابتلعهم الوقت وشرّقهم من فوّهته العملاقة.
تغيَّر المكان ومرّ الكثير من الزمن، الكثير جداً منه.
أما هي، بقيت تحلم بمقعدٍ لا يذهب مثلَ كلّ الأشياء والأسماء و....

الأريكة -6 -

فتح الباب، دلف من العتبة؛ المكان مرتب كالعادة ولكن أكثر من اللازم، ثمة ترتيب يليق بالرحيل، حدّث نفسه وهو يفتح البراد؛ يتناول موزة كبيرة، أكبر موزة، قشّرها على مهل، تمشى في أرجاء المنزل. على الأريكة، لمحَ ورقة كبيرة بيضاء ناصعة، في وسطها كلمة واحدة بخطٍّ أنيق تنبعث منه الثقة: (وداعاً)..
استلقى فوق الكلمة الأنيقة.. ونام...

الأريكة - 7 -

طاردتْهم على مدى الشهور الستة الماضية فكرةٌ واحدة؛ فشلت حديقة تشرين، وعتمة سينما الكندي، والطرقات الجانبية، وسفح قاسيون، بتوفير المأمن اللازم لتحقيقه:
أين يمكن أن نتبادلَ قبلة في دمشق؟
تكرّم الصديق بتقديم الأريكة وخرج..
طوّق كتفَها العالي، حشرت رأسها في صدره الواسع، وأسلمت شعرها لأصابعه الجائعة. نجومٌ أبرقت في عزِّ الظهر لما تلامسا. قصاصاتٌ ملونة كانت تخرج من فم الأريكة، ندف قطن من صدرها.
لهاث العبق ورائحة التوق، انفجرت نجوماً في عزّ الظهر.
أقدام الأريكة.. هبطت...

الأريكة - 8 -

لا يوجد أريكة ٨، تمّ استخدامها حطباً الشتاء الماضي!.

حكاية للأطفال، تقصها الأريكة - 9 -

في الزمن البعيد، كنت أعيش في منزل رجل سيّء، كلما غضب أو شعر ببؤس أيامه بدأ بتحطيم شيء مني. حاولتُ جاهدة كي لا ينخلع مني مِسندٌ، أو يسقط من حافّتي متن. في يومٍ من الأيام قبض الرجل السيئ مالاً كثيراً..

والمال يا أصدقائي، هو عدوُّنا الأول نحن معشر الأشياء، لأنه غيّرَ شكلَ حياتنا وجعلنا نتحول من أشجار رائعة إلى أخشاب، وسمّرنا بضرباتٍ موجعة بألدّ أعدائنا، المسامير والبراغي، وسلخ لحائنَا وكفّننا بأقمشة من تلك الكائنات الوصولية: القطن والأغنام. حرق وجوهنا بحجة تجميلنا، وطلانا بمادة كريهة الرائحة لحمايتنا من السّوس، فعطب حواسنا الشجرّية كي نبدو بألوان تناسب الستائر.

في يوم من الأيام، دخلت روح الشجرة الأم إلى حيث نقطن. نفخت فينا قوّتَها العجيبة، فعدت أنا شجرةَ جوز على حافة ساقية، والكراسي أشجار حور تتراقص طرباً على حافة ساقية، وفرّت

النوافذُ لتعود إلى أشجار مختلفة في غابة استوائية؛ والزجاج عاد نُثاراً من رمل باهر على شواطئ بمنتهى الزرقة.
والسجّاد إلى قطيع من الأغنام يرعى الأعشاب جوار مزرعة من (الشراشف) بعد أن تحولت إلى حقول من القطن الناصع.
والأصداف الملتصقة على حوافّي صارت حلزونات رائعة، وقواقعَ بحرية.

أمّا الرجل السيئ فصارَ قرداً لطيفاً يقفزُ فرحا فوق أغصاني، ويلتهم الجوز وهو يزعق برضى....

ملتاث ويعيد

أنت، أيتها البلاد الشاسعة واللهجات المدبلجة، تبدو وتغيب كمطلع قصيدة في حضرة العرق..
أنت، أيتها الصديقة التي تلتقط اللقى من قلوب عشاقها، وتحصي المسافة بين العبق والدّبق..
إليك أركض، وعندك أستفيض. لديك أودِع مائي وأُخمد قلقي.. أبتلُّ وأبتلُّ ولا أصل أبعدَ من دموع عينيك.
يالي الرسوم من الكلمات والوشوم من الدلالات والمياه من الغرقى والعطشى والمتشققين على حافة الأنهار المحتضرة.
يا للبلادِ منك، والعبادِ من جبروتك، والأجنة من الالتصاق في مشيمتك ولعق مشيئتك!
يا للغيومِ من غيِّ الغيابِ، من أنفاس اللاهثينَ على مصاعد أدراجك، من آهات المتأهبين الحالمين الكاملين في حضورهم الأخيرِ المحشوِّ في أكياس "البلاستك" السوداء..
يا لهم جميعاً من حضورك!

من ارتداء البرد حين تمرّين، من خواء النساء حين تتكلمين، من اليقين اليقين حين تشككين وتنزعين قشورَ الموت عن ضحكاتك الحادة!

أنا المرتحل عنك.. احتجت خمسين سفينةً، وحماسةَ طارق بن زياد، ومعراج السهروردي، ومعونة بُراق، وألفَ قاطرة ومقطورة.

احتجت لكلِّ هاوية، وكل درك سحيق، وكل ما يشد ويفصل ويهوي ويقلع وينتكس، احتجت إلى كلّ ما يبتر وينحر ويهجر ويقطر ويهرب ويغادر ويترك ويتخلى.....

كي أبعد شفتيَّ عن حلمتيك،

واحتجت فقط أن أستديرَ كي ألاقيك...

أنا المختمر بك. أحفظُ أ طقوس زوالك. مواعيدَ نهوض شموسك الأربع حين تبدّلينها خوفاً من ضجر الأمسيات، وتنشفينها بعد مغطس طويل في "البانيو".

أقمارك جميعَها، حين ترشقينها في ليالي العاشقين والملتاثين بك.

حليبك البكر حين تُرضعين الكهول والموتى حلاوة فيوضك

أيتها المرأة الدمشق

أيتها الدمشق المرأة..

أنّى أجدُ من يشابهك. يدنو من ظلك. يقترب من أنصال شهوتك التي تغرزينها وتدرزينها وترقّعين بها وجهَ الخوف ورعشةَ الخائف وسقوطَ المخيف....!

بين لندن والسويداء

السويداء:
البرد ينخر العظم والروح، ويفرغ الكلام من جهاته
ثمة تقمّص في كلّ شيء، تراه من* "عين الزمان"
عين ساحرة تطل بها على الغيب وتتماهي مع حسٍّ بالفتنة لدرجة الامّحاء.

في السويداء:
تتدثر المدينة (بالتناويح)، تتقن ابتكار الملل، ولا أحد يحزر نية الصمت، كيف سيؤولُ دماً لزجاً بعد قليلٍ، أو رحيلاً طويلاً.
رائحة الانتظار، تزكم روح المدينة وتثير شهوة تقشير الوقت دبقُ الساعات المتشابهة دبيبٌ ثقيل بليد وممغوط.. انتظارٌ لخلاصٍ دامع وهلاك مشبعٍ بالفقد.. وأرواح أنفقها معظمَ أبنائها في حارات طبرق، وتحت جسر الكولا، وغابات "فنزويلا"، وخليج العرب.
(فحبقة نعيم)*عاهرة السويداء المجيدة "كود" لتعريف المحلي و(سورية نصر)* "كود" للوطن!.

ابن السويداء:
لا يعرف عن الحدود الخمسة والحاكم والسادات الغائبين وبيارقهم الملونة ومولاه العقل، أكثر من معرفته عن المطاعم وتنصيب (الأفخاخ) وابتكار الملل ودحضه بتقنيات الدبكة وقتل الشقيقة التي تتجرأ بالخروج من جغرافية السّطَوات.
مواثيقُ وحججٌ مكتوبة بدور الكشف. جمعها الحاكمُ بأمره، مخزونة تحت الأهرامات العظيمة، ستقرأ كنتائج (البكالوريا) لأهل الخير الفائزين.

السويداء:
قرية كبيرة تجاوزاً أصبحت محافظة "جدا" منفتحة بمقدار ما يسمح به الانتظار ومغلقة كباب (حلس) لا يفتح إلا من الداخل.
السويداء:
قداسةُ الشهوة أفانينُ العيبِ ارتجالُ الحياة فطنةُ العرقِ سُكْرٌ وسكَّرٌ وحكاياتٌ تماهت مع التقية. الخوف من المذبحة القادمة. لن تجد "شزوفرينيا" جمعيةً أكثرَ من (ساحة السير).

في السويداء:
سينما "سرايا"، توقفت عن العمل منذ عشرين عاماً، لكن لا يخلو أسبوع من (فيلم) عن الحبّ على الطريقة المحلية. أبطاله من راوغوا الفراغ و وامتلؤوا بلوثة الحبّ.
حبٌّ مدجّجٌ بالخسارة، يحتاج جسارة من نوع خاص.. الناس يقترفون الزمنَ بالحبّ والأمنيات، وفضائح الحب تدور في "صباحات السويداء و"صبحياتها" لا يمرّ صباحٌ في السويداء دون فضيحة حب؛ الفضيحة تكرع مع كاسات "المتة"، والحب يواصل كيَّ قلوب فتيانها ودمغَ غضار عيون بناتها. عيون مفتوحة باتساع على الشغف والموت والرغبات.
مدينة يتقدّدُ فيها الجسد، وينفتح فيه السرّ. تمورُ بها النهايات باضطراب هادئ.. لا شيء يغير أو يتغير. ثبات مبهم الهوية. ماض، ٍلا أحد يتقن استعمالَه فيُرتجل في الأعراس على شكلِ أغانٍ وتهانٍ وصبابات.

السويداء: حِدَاءٌ وحِدادٌ تكوّر إلى الداخل. أحكامٌ مسبقةٌ محكومة بالألم، مشبوهةٌ في الخريطة، متروكةٌ للقدر، مبتورةٌ عمّا يحوطها، مرفوعةٌ بضمّةٍ وشمّةٍ ورائحةِ الحبق، مفرودةٌ يداها لمعانقة الرحيل.
يلهو بها الفراغ، ويلتهمها الإنكار، والعمر فيها ساحة وافرة لكلِّ أنواع الانتظار.

لندن:
هذا أنا بلا "رتوش" تذكر
بلا أحد يعرفني أو إحد (ى) تستدل علي
لا أشعر بأني حر، ولا غير ذلك
لست وحيداً لأقرض الشعر، ولا بالكثير لأراسل أصدقائي

أجول المكان على شكل إيماءة بلا معالم
طائعاً تماماً ومشدوهاً كفزاعة مكشوفة

هذا أنا مهما تغيرت الأماكن
تبقى "المربعات" أعلى ما أصبو
والسويداء أقصى ما أصل

هذا أنا برفقة امرأة من "فينيسيا"
نتشاكل في شوارع لندن
نقرفص لمراقبة المارّة في "البكاديللي"
نحتسي "الموهيتا" في "بار" كوبيّ
ندخن "المرجوانا" ونضحك بلا سبب
وبدل "بصحتك" تقول لي: "سالوتاه"

ها أنا أضيع في "المترو"
أرتكب الحماقاتِ نفسَها.

ومهما تغيرت وسيلة النقل
وأسماءُ المدن
وروائح النساء
وطريقة الاحتفال
ووجوه رُوَّاد البارات
تبقى "المربعات" أعلى ما أصبو
والسويداء أقصى ما أصل.

*** عين الزمان مقام ديني معروف في السويداء.**

***- حبقة نعيم وسورية نصر عاهرتا السويداء الأشهر، تنسج عنهما الطرائف والحكايات علامتان فارقتان في روح المدينة المحافظة.**

*** باب الحلس : باب روماني قديم مصنوع من البازلت الثقيل لا يمكن فتحه من الخارج ولو بقنيفة مدفع ويمكن لطفل صغير أن يفتحه بأصابعه من الداخل.**

*** المربعات: اسم يطلق على أعلى بناء في قريتي "تعارة".**

"يا سورية الجميلة السعيدة / كمدفأة في كانون/ يا سورية التعيسة / كعظمة بين أسنان كلب/ يا سورية القاسية / كمشرط في يد الجراح....."
*** رياض الصالح الحسين**

سوريا يا حبيبتي

"كان يكفي أن يأتي المساء لنعرف أن رحلتنا انتهت"
أفرغنا مؤونتنا من القصائد و قناني النبيذ والشتائم
عند منعطف الأسف مضينا بلا حكّة في الضمير
ولا أمل مغرور بغد أفضل.
مشينا فقط..
خفيفين كأوراق في مهب خريف سخيف
مدجَّجَيْن بكلِّ الأوان المناسب للرحيل
ثلةٌ من الرفاق، نتقاسم من التبغ قطنتَه ومن الشغفِ فتنتَه ومن البقاء ألفته ورشوته، وبقايا دخان الخسائر الطازجة تطير على عواهنها،
ومضينا إلى حيث لا أحد يعبأ بالمارين سريعاً
والمشّائين والحزانى ومشاريعِ الشعراء أو القادمين من جهة المجازر الصامتة.

تركنا "أدم حاتم" في مقهى "الروضة" يستقبل الوافدين من أرض الرافدين بآلامه الباذخة، ولحقنا زوغانَ نظراته وحُروقَه المشوية في فرن الوطن.
تركنا منعطفاً كاملاً، في آخره من ينتظرنا لنجلبَ عدّة السهرة،
ونغني دون هوادة،
وسلكنا طريق المطار باستقامة "العابد".
تركنا كلَّ الحقائبِ دون توضيبٍ، والأبوابَ دون تسكيرٍ،
والحكاياتِ دون تتماتٍ واضحةٍ
لأننا نودُّ أن نعودَ يوماً ونكمل كلَّ شيءٍ
دفعةً واحدةً، أو دفقةً طائشة.
تركنا دمشقَ (تشلع) أزرارَ قمصاننا وتخلع أكتافنا وتركلنا بمهارة الحبيبة الخائنة
وتعطينا بوصلةً معطوبةً لا تشير إلا لقاسيون.
تركنا البلادَ والحبيباتِ والهواءَ والظلال
ومضينا.. كان همُّنا أن ننجوَ من الموت ضجراً،
بلا أملٍ نروّج له
بلا أعداء لنعقد معهم سلاماً سافلاً،
ولا آثام واضحة
فقط مضينا في عبور ضيق بين أسفَيْن،
فلا الغربةُ قبلت اعتذارنا
ولا دمشقُ سمعتْ كم مرة اعتذرنا من حليبها.
أعطينا ما لله للآخرين وأبقينا ما لقيصر معنا

غدرتنا الوصايا كما يليق بعشاق أدمنوا الخسارة
كان علينا أن نكتبَ نصوصاً عن الحداثة كيما يقرأنَا المحشوُّون في أنفاق اتّحاد الكتابِ ويجدوا من يشتموه.
كـان علينـا أن نبـيضَ و"نـربخ ونبقبـق"، كـي نقنـعَ السـادةَ أننـا مدجَّنون.
كـان علينـا أن نلعنَ من مـاتوا منّـا، وهم يظنـون أنّنـا علـى الـدرب لسالكون.
كـان علينـا أن نحـبَّ وجـه "يوشـع بـن نـون" وهـو يمـرغُ جسـدَ "أريحا" في روث فرسانه.
كان علينا أن نختار بين فصيلين، واحدٍ ملتحٍ وآخرَ مـرتشٍ وننسـى الوطن.
كان علينا أن نغسلَ أقدام مغتصبينا، ونترك الدماءَ علـى المـلاءة و ندعو الله أن ينتقمَ من أعداء الوطن.
كـان علينـا أن نـدوسَ رقـابَ الأقربـاء والأوفيـاءِ والشـهداء، وكـلَّ قصـائدِ الشعراء الذين تغنوا بالوطن وماتوا من الشجن.
كان علينا أن نطيقَ الصـفيقَ، ونـتقن التصـفيق والصّـفير والزعيـق لكلِّ من أودى بنا بلا وطن.
كان علينا أن نكون ما نحنُ عليه، هـاربين ضـالين هـائمين منسـيين خـائبين خـائفين طـاعنين فـي الغيـاب حـين يحضـر وجـه النـذل، ويغيب الوطن.

كـان علينــا أن نسـتلَّ مــا تبقــى مــن حكايــات الجسـد، وسـرَوَات الصـباح، وجلْخِ النهايـات علـى بُـرداخ القلـب، ونراقـب "خـراب الدورة الدموية" في جسد الوطن.
كان علينا أن ننجزَ الحيـاةَ قسراً، ونقطعُها رَمْحاً ونفارقها ظـلالاً ونكتفي بشمّ حفلات الشواء على جسد الوطن.
كان علينا أن لا نكون فـي كلِّ شـيء إلا بالمسيراتِ والإحصـاءات والمزادات التي تبيع الوطن.
كان علينا أن نشتم الوطن لنجد مكاناً نتكاثر فيه بصمت الخـراف أو نـؤمن بحكمـة الجـزار لمّـا يضـحّي بنـا فـي الأعيـاد والحـروب والساحات حين يجن الوطن.
كان علينا الكثير أن نفعله ولم...
أن نسأله ولم..
أن نقتله ولم..
أن نكتبه ولم...
أن نغيِّرَه ولم...
أن نلمَّه ولم...
أن ندفنه ولم....
أن ننساه ولم....
كان علينا أن نرقصَ في عرس الدم ولم......
لأننا مضينا غير عابئين بالوطن

لنتقن الفتك بحياتنا خارجه ونخرجه من خارطة الجهات ونحن نسكر دون هوادة ونغني بصوت مخنوق مشروخ ممطوط، من صميم القلب المعطوب...

"سوريا يا حبيبتي أعدتِ لي حريتي.. أعدتِ لي...."....

السوريون يصعدون إلى السماء

كانت الريح قد بدأت بالغناء، عندما عرفَتْ أني أقترب من ملكوت السماوات، وبدأ طنينُ الجنة يصدح في أذني، وهبّاتُها تلفحُ وجهي، وصدري يَستنْشِقُ رائحةَ "الأضَاليا" الممزُوجة بـ"الحلندوق".

تبعتُ الرجلَ المرتدي زيّاً من سندسٍ خالصٍ بعد أن أخبرته أنني أحتاج إلى شهادة حسن سلوك من السماء، كي يقتنعَ بعضُ موظفي الأرض أنني لست منتمياً لمحور الشرّ، وأنه لا خص لي باعتبار سورية دولة شريرة.

- الأمر يأخذ بعض الوقت سيدي. كلّمني ملاك ّدمث؛ وتابع:
- يمكن لك أن تتمشى قليلاً في الجنة بينما نرتب لك أمر الشهادة.
- في الجنة؟

وتابعت متسائلاً برهبة وخشوع:
- وهل دخول الجنة بهذه السهولة؟

- سيدي ألستَ سوريا ولا تحملُ جنسية أخرى، ولم تشغل يوماً أيّ منصب من فئة مدير فما فوق؟
- نعم، سوري ولم أشغل أي منصب من تلك.
- إذا تستطيع زيارة الجنة..
- ولماذا هذا الامتياز غير المتوقع؟
تململ الملاك الدّمثُ قليلاً، واهتزت حَلَقَاتُ رأسِه الثلاث، وفردَ جناحيه وضمّهما بسرعة وقال: الصبر يا سيدي، هو الصبر.
وأخرج من تحت جناحه دفتراً ضخماً مكتوباً عليه: "سِفْرُ سورية"، وبدأ يقرأ بسرعة خارقة فأرى كلماتِه تتحولُ صوراً، تمرُّ، تكرُّ، واثبةً صارخة..
رأيتُ سوريين بعيون وأرواح سوريّة، يتحملون سنواتٍ من النفاق وينفقون أرواحاً وأعماراً على حياة تتراوح بين التّوقِ للسفر، والموت بالضجر..
يدفعون ضرائب لمجهود حربي ولا يحاربون يدفعون ضرائب لاغتراب ويغتربون وضريبة للسقف وضريبة لرفاهية وشرفيّات لطرق ومتع للنظر وضرائب أكثر من دول أوربة الغربية ويحاكمون بتهمة مخالفة نظام اشتراكي.وتُبددُ حقوقهم في ثروات وطنهم- في أيدي أمينة - ومياه وطنهم وهواء وطنهم، بينما ناهبيهم يسرقون وطنهم ويجففونه ويلوثونه ويبددونه وكأنه وطن الأعداء، وكل معترض يصبح عميلا وكل

متسـائل يصـبح جاسوسـا وكـل موجـوع ومتـألم عليـه بكظـم صـراخه ووجعــه لــ ألا يـتهم بإضـعاف الشـعور الـوطني.

سوريون متألمون بنظرات مكسورة، وخواطر مكدودة وأجنحة متكسرة وأعمار كأعمار القطط. محنتهم أنّ ألمَهم غيرَ واضح، وأنّ مأساتَهم لا توثّق، لأن مصائبَهم لا تمنحهم حق اللجوء إلى أي مكان.

"أيامكم مشحونة بالأنين" ١ (مستعيرا العبارة من أدونيس).

أوقف الملاكُ الثلاثيّ الحلقات انهراقَ ذاكرتي وانهدارَها المخفوقَ بالصور الحارّة وشدّني من كميَّ الأيمن: انظر، انظر إلى هذه... نظرت من ثقب المراقبة السماويّ، رأيت غيمةً سوداءَ كثيفةً تتأرجح فوق سورية. تمورُ فيها مسوخٌ وأشلاءُ قرفٍ وشتائمُ سخاميّة تختلط برماد الصراخ وثقل الآهات، تتقاطرها أدعية واستغاثاتُ ابتهالاتٍ وغصّاتٌ تشكلُ زوبعةً من احتشاد أشياء اختلطَ فيها الحابل بأكياسٍ سوداءَ ممزقة، وعلب "سومر" فارغة، والنابل "بمحارم القطّة" وقشور ثلاثة عشر نوعاً من العلكة، فخر الصناعة الوطنية!

- هذه الحالة أثارت إعجاب لجنة الأولياء والصالحين.

أردف الملاك بصوت دافئٍ وتابع بخشوع يشعُّ من صوته "الفيروزي"، نسبة لصوت فيروز:

- حتـى أيـوب عليـه السـلام، معجـب بصـبر السـوريين وقـدراتهم علـى الاحتمـال، ويعتقـد أن السـوريين هـم أحفـاده المخلصين.
- طيب أنت، من أين عرفت كل هذا؟ سألت الملاك بسذاجة أهل الأرض.
حرّك رأسه يميناً وشمالاً، وقال بفخر: أنا خدمت في سوريا طوال ٤٠ سـنة، ألا تـرى أن لـي ثـلاث حلقـات؟ هـذا امتيـاز خـاص بالملائكة الذين خدموا في سوريا.. هيا لا تضيّع الوقت، (روح كسدرلك) قليلاً في الجنة بينما نُجَهزَ لك شهادة حسن السلوك.

دخلت مبهوراً من عظمة المشهد، وشعرت بأنّ كلَّ أحقاد العالم قد زفرتها خارجاً. بدأت أسير على السندس والإستبرق وآكل الفاكهة وألحسُ الأبّا. كان طعم "الأبَّا" أقرب (لبوظة بكداش). علامـاتٌ وشـواخصُ تـدلُّ علـى متنزهـات "جيحـان وسـيحان"، وأنهار من ضوء تهدر مع موسيقى لا ترعوي تطرب الروح. "أوركسترا" عملاقة تعزف "سيمفونيات" يَسْمَعها المؤمنون كلٌّ حسبَ ذَوْقَه. أنغام تنسرب من أقواس قزح ،وشلالاتُ كرستيال سـائل. طـربٌ يُـرقِّصُ الأرواحَ والخصـورَ، وثُمالـة بالغبطـة. غلمـانٌ مـن مرمـرٍ يطوفـونُ علـى المـؤمنين الغـارقين فـي "الاصطهاج" العالي، وحوريات يتجوّلنَ على الحاضرين الفائزين الغارقين في اللمس والعضِّ والرّضع والمصِّ والتقبيل

وتبجيل الجسد الذي صبروا وترفعوا وتنسكوا وتعبدوا ليحصلوا عليه أخيراً!
على كلٍّ، كانوا بلا خبرة كبيرة، فشخصياً أنا وصديقاتي، ننتشي بوضعياتٍ أرضيّة أهمّ بكثير..!

المهمُّ أنّ الشيء الوحيدَ الذي كان يسبب بعض الكدر، هو أن الحورياتِ كنَّ يَعُدنَ عذرواتٍ بعد كلّ نُكحٍ مبارك، فمنظر الدم وتكرارُه يثير بعضَ "التحسّف". بحثت عن مسؤول السِّقايَة، وبمجرد أن فكرت به تراءى أمامي، وأخذ يصدرُ الأوامر إلى مجموعة من الغلمان "المرمريين"؛ كان صارماً هادئاً يوزّع المهماتِ ويحرص على أنّ الجميع لا يحتاجون شيئاً، وطلبت منه أن يرشدني إلى الكوثر، فأنا أحتاج كأساً على وجه السرعة. دّلني بإصبعه البلوريِّ فوجدت الأنهار الأربعة، وجلست قرب نهر الخمر. طلبت (عرق الريان) الذي كانت إعلاناته تملأ المكان. ومن نهر اللبن كانت ثُلة من "الحور العين" تحوّل اللبن إلى (شنكليش) يقدم (مازة) مع العرق!
طلبت (نَفَسْ أركيلة)، بينما راحت إحدى الحوريات تمسِّج أصابعَ قدميّ بفمها، وأخرى تمسّد كتفيّ بزيت العنبر المبارك، أخذت أرتشف من عرق الريان؛ لم يكن الطعم مختلفاً كان يشبه الطعم الأرضي. أخذت نفساً عميقاً من "النارجيلة" ونفثت دخاناً أخذ يطير على شكل غمامة تسقط منها حبات لؤلؤ، فيحلق عصفور

الجنة إليها يلتقط الحبَّة بمنقاره الألماسيّ، ويضرط فتخرج من ضرطته وردة..!
ياه كم هي رائعة الأشياء في الجنة!!!
ولكن ماذا عن أخواتي المؤمنات؟
على ماذا يحصلنَ هنا؟
تطلعت حَواليّ، وجدتهنَّ يجلسن بعيداً منزوياتٍ بارداتٍ بلا ملامحَ ينتظرنَ أزواجهنَ من رحلاتِ الاستمتاعِ اليومي لِيَكنَّ زوجاتٍ صالحاتٍ؛ فهنَّ فُزنَ في الدنيا والآخرة بأنهنّ زوجاتٌ صالحاتٌ يَنكحهنَّ أزواجُهنَ الصالحون أنّى شاؤوا.
لأنّ المكان بلا ضغائنَ ولا أحقاد، هو أيضاً خالٍ من التكافلِ والتعاضدِ فلم أستطع التضامنَ معهنَّ، ولا أن أُشفقَ على المشركين وهم يتعذبون بلا هوادة..
فمن أيّ زاوية تنظر ترى جهنم وأهلَها ينادونك لتشفعَ وما أنت بشفيع. لتُشفقَ وما أنت بشفيق، فلا يتحرك فيك شعور أو تستنهضك نخوة، فالمكان لازوردي، ليس فيه مشاعر أو انفعالاتٌ، فكل ما تحياه أنيّ وسرمديٌّ.
"شاشة بلازمة" عملاقة تنقل لك ما يحدث في الجحيم لكي تعرف قيمة ما أنت فيه، وبالطبع تنقل لأهل الجحيم ما يحصل في قطاعنا كنوع من القصاص النفسي..

يقف المشركون والخاسرون في طابور طويل واحداً تلو الآخر. (تُبخشُ) مُؤخراتهم (بأسياخ) فولاذية مُسَنَنة بشكلٍ مَخْروطيّ حَتَى

تَخْرجَ من رؤوسهم وعقولهم الكافرة، ثم يركَبون على (شوايَّة) عظيمة تَبْدَأ بالدوران على موقدٍ ضخم، وكلما تحمَّرت ونضجت جلودهم انسلخت مهترئة.
يتقدم شيطانٌ كهلٌ، يُخيْط لهم الجلدَ المهترئ ليحرقَ من جديد؛ هكذا حتى تَنْتَهيْ حِصَةُ الشيِّ، فينتقلوا إلى مرجل الزيت المغلي تُ طّس فيه أجسادُهم رويداً رويداً، لتكوى بالملح الكثير اليود، وفي اللحظة نفسها يتكفل "شيطون" صغير برشق ظهورهم العارية "بسرنكات حُقن" يملؤها بالأسيد يَزْرُقُهَا على أجسادهم النجسة، بينما يعصر عليها آخرُ الليمون الحامض ويبصقُ كتلاً نارية ملتهبة يفركها بيده الكبيرة المليئة بنتوءات تشبه شفرات الحلاقة، ويَمْرُس (البصقات) النارية على الأجساد الكافرة، ويستمتع بصراخ يمزق الآذان، وعلى إيقاعه يتابع الكفار طريقهم إلى حجرة الغرق، والاغتصاب، وفقءِ العيون، وأرضِ العطش، وهناك يغدو "بول الحمار" حلماً مرتجى، ثم يمرون على المكان الأكثر رعباً:

"الغرفة ١٠١" استمدّتها جهنمُ من رواية "جورج أورويل" (١٩٨٤) "رجال أشرار" في الحقيقة هم أكثر الرجال شراً على الإطلاق ولكنهم مَعْفُون من العذاب لتكفّلهم بتدريب الشياطين على فنون التعذيب!
ألَّفوا كتاباً خارقاً من خمسة أجزاء بعنوان: "أفضلُ الوضعيات لانتزاع الاعترافات". كانوا مجموعةً مُختارة من أمهر المختصين

الـذين مـرّوا علـى كوكـب الأرض؛ علـى رأسـهم ضـباط "أبـو غريـب" و"المسـاعد جميـل" وعددٌ مـن الأشـاوسِ السـوريين مـن فـروع التحقيـق الذائعـة الصـيت؛ عـرفتهم، لـيس مـن "لهجـاتهم السورية" إنما من كاسـات "المتـي" التـي تمـلأ الاسـتراحة! وبينمـا اختصّ "عـلاء الـدين الأيـوبي" بتوثيـق النـدم الـذي لا يجـدي، فـي برنـامج تلفزيونـيّ بعنـوان: "فـي خدمـة الصـالحين" يبـث يوميـاً مـن ردهـــة الاســـتقبال فـــي الجحـــيم للوافـــدين الجـــدد..
يجلـس الطـلاب فـي "الغرفـة ١٠١" بقـرونهم الطويلـة وأعيـنهم النارية التي تقدح شرراً من الرعب، ويدخلون أذيالهم بين أرجلهم عنـدما يَسْـتَمِعُون لأصـول التعـذيب التـي يشـرحها لهـم الضـباط الخبيرون بفنون لم تعهد - لا فـي الأرض ولا فـي السـماء - ويقوم الضباط والمساعدون بتلقينهم أهمَّ التقنيات والطرق للوصـول إلـى أعلى المراتب في هذا الفن الذي ابتكره أحفاد آدم، وتفوقوا بـه علـى سلالة إبليس.
يُعطى الشيطان المتخرج من "الغرفـة ١٠١" لقب أسـتاذ جهنمـيّ، ويبـدأ مـن يومهـا برفـع تقـاريرَ أمنيـةٍ عـن إخوانـه الشـياطين وتوجهاتهم وعقائدهم.
أشحت نظري عن جهنمَ وأسفلِ السـافلين ومـا يحصـل فـي الـدركِ التحتـانيّ، واسـتدرت إلـى امـرأة أقـرب لسيدات الأرض.. ألقمتنـي صدرها المرمريّ وتهت في فيافي نبضها.
أخرجني نداءٌ غامض. هزتني يدٌ عملاقةٌ هبطت بـي من شـاهقٍ بـلا حـدّ. انخفـض قلبـي. نتـرتُ يـدي. صـحت بعـالي الصـوت

واســــــــــــــتيقظت...
كانت ثلاث دقائق مرت بسرعةٍ خارقة. بيدي ورقة كُتبَ فيها عبارة لمتصوّفٍ عربيٍّ تقول: "ربي أعبدك لا خوفاً ولا تجارة"

لا أخشـــى نـــارَ جهـــنمَ ولـــم تعجبنـــي كثيـــراً نســـاءُ الجنـــة. هنا جهزتُ كلَّ قوايَ النفسية والجسدية والعقلية وسارعتُ ليس إلى أقرب جامع أو كنيسة، بل إلى القنصلية السورية في "دبي"، علّي أحظى هذا العام بسندِ إقامةٍ مقبول يؤجلني عاماً آخر من خدمة العلم، فازورَ جنتي المفضلة.....